الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والارشاد القومي

الادارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد ١٠٤٤ الخميس - غرة رمضان ١٣٨٣ هـ - ١٦ يناير ١٩٦٤ م السنة الحادية والعشرون

الفهرس

الاشتراكية الروحية ورمضان

بقلم: أحمد حسن الزيات

ان الاشتراكية المادية التى ندعو اليها ونعمل لها ونعيش فيها لا يمكن أن تقوم ولا أن تدوم الا على ركن شديد من الاشتراكية الروحيـــة . ذلك لان الروح هو سر الله فى كل حى وفى كل نظام وفى كل مجتمع .. به يحيـــا الهـــامد ويتسق النافر ويجتمع المتفرق . هو الذى نسميه حبا أو جاذبية أو وحدة .. وهو الذى يجمع قلوب المواطنين على عبادة اله واحد ، وحب وطن مشترك ، وتقديس شعار متحد ، وطاعة زعيم قائد .. فاذا ضعف فى النفوس هذا الروح ، واحتجب عن الاذهان هـــذا السر ، تناكرت المعارف وتدابرت الاخوة ، فلا يتشاركون فى خير ، ولا يتعاونون على بر ، ولا يتناصرون فى شدة . واذن تصبح القوانين الاشتراكية والانظمة التعاونية كلاما لا معنى له وعملا لا رجع منه !

ان المجتمع الانسانى اذا خلا من هـــذا الروح الالهى أصبح مجتمعـــا حيوانيا لا يعطف الفرد فيه الا على وليده مدفوعا بغريزة حفظ النوع .. فاذا بلغ الوليد أشده واستوى تقطعت الرحم وتباعدت القـــرابة وانقلب الولد ندا لأبويه ، يدافعهما عن نفسه ، ويصارعهما على قوته ، وصار الاشتراك أو الايثار الذى انبثق من الامومة والأبوة فردية باغية وأثرة شديدة وقطيعة متصلة .

على أن هذه الغريزة تتهذب فى بعض أمم الحيوان كالنمل والنحل فتنمو وتسمو وتدوم حتى تصبح اشتراكية مثالية تنتظم فضائل المجتمع الانســـانى

المرجو من فناء الفرد في الجمع ، وجهاد الكل للكل، وما يحقق ذلك من تضامن وتعاون واخلاص وايثار وتضحية حتى يبلغ من سمو الاشتراكية في هاتين الأمتين أن النحلة أو النملة تعمل لنوعها كله لا لنفس دون نفس ، ولا لطائفة دون طائفة ... وهذا السمو الاجتماعي فيها لا تجد له نظيرا في مجتمع الذئاب والقرود والناس ! فلكل فرد من أفراد الانسان وهو أرقاها شأنه الذي يعنيه ورزقه الذي يكفيه ، فاذا فضل شيء منه عن حاجته فلزوجه وبنيه ! أما علاقته بغيره وغير أهله فهي علاقة الصائد الخاتل أو اللص القاتل : يحتال ويغتال ويغتصب ويستأثر ، ولا يبالي أن يهلك العالم وتخرب الدنيا ما دام بدنه معافى وداره عامرة !

❋ ❋ ❋

هذا السمو في الاشتراكية المادية لم يجعله الله أصلا في جبلة الانسان ، وانما جعله في الشرع الذي أوحاه وفي الكتاب الذي أنزله .. فمن يرد اصلاح الفاسد من حال المجتمع دون أن يبث في أعضائه هذا الروح ، وينشر في جوانبه هذا النور، أخطأ الطباب الناجع لهذه العلة ، وضل السبيل الجامع لهذه الغاية .

ان دين الله اشتراكي بحكم طبيعته ومقتضى رسالته . شرعه الله نظاما للدنيا وسلاما للناس على أساس من علمه وتقدير من فضله ومنهاج من هداه، فالملك ملكه ، والمال ماله ، والفقراء عياله ، والاغنياء عباده ، والمصير كله اليه .

على هذا الاتصال الروحي بين الخالق والمخلوق اجتمع الشمل في الأسرة الاسلامية الكبرى فكان الناس فيها سواسية والحكم شورى والايمان أخوة والرزق شركة والجماعة وحدة .

واذا تدبرت الاركان التي بني عليها الدين ، والاحكام التي جاء بها الشرع ، تجلت لك من مطاويها ومراميها تلك الاشتراكية التي تؤلف القلوب بالفة الروح ، وتجمع الشعوب بجمعة الحب ، وتفرض على الحائز معونة العائز ، وتوجب على الجميع نصرة الفرد ، وتجعل من المسلمين جسما واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى كما قال الرسول الاعظم .

❋ ❋ ❋

خذ مثالا واحدا من الف : صوم رمضان ! أليس هذا الشهر المبارك الذي احتفل برؤية هلاله المسلمون في جميع أقطار الارض هو مظهر الاشتراك الروحي بينهم ؟ انهم يصومون في وقت واحد ، ويفطرون في وقت واحد ، ويكادون يتفقون على طعام واحد . ثم ينصرفون عن الملذات الحسية والنفسية ليتجهوا بالتأمل والتعبد والخشوع الى الله ، فيغضوا أبصارهم عن المنكر ، ويكفوا ألسنتهم عن الفحش ، ويصموا آذانهم عن اللغو ، ويغلوا أيديهم عن الأذى، ويصدوا أهواءهم عن السوء ، ثم يسمتون جميعا صائموهم ومفطروهم سمت الصالحين ، فيمسكون السبحة ويتقون الشبهة ويصنعون المعروف ، ويتقلدون تقاليد رمضان ، فالسكير يهجر الكأس ، والمقامر يترك الورق ، والشرير يؤجل الشر ، والمجرم ينسى الجريمة ، ثم يشركون المساكين في طعامهم تكافلا ورحمة ، ويؤتون الفقراء من أموالهم تعاطفا وصدقة، ويولمون الولائم لاخوانهم تواصلا ومودة ، ويشعرون ان أجسادهم المتفرقة المختلفة يسري فيها روح واحد يصدر عنه هذا الوجود المتحد وهذا الشعور المشترك .

❋ ❋ ❋

هذا الروح الالهي انما أبقاه وقواه في نفوس الصالحين عقيدة ووراثة وسنة . فلو أنه وجد في الوطنية ما وجد في العقيدة من الايمان ، وفي النشأة ما وجد في الوراثة من العمق ، وفي القدوة ما وجد في السنة من الصلاح ، لشاع في نفوس المسلمين وجعل منهم مواطنين اشتراكيين يعمل كل امرىء منهم لوطنه كما يعمل لبيته ، ويحب لمواطنه ما يحب لنفسه ، ويكون لدولته كما يكون الانجليزي لامبراطوريته : يخلص لها اخلاصه لعقيدته ، ويبر بها بره بأمه ، ويفنى فيها فناءه في أسرته . ويومئذ ترى العربي كما ترى الانجليزي يقذف بنفسه في المطرح البعيد والمنزل النابي ليعمل لقومه أو ليكدح

لنفسه فلا يضع أمام عينه ولا طي صدره الا جمهوريته : يمثلها أحسن تمثيل ، ويخدمها اخلص خدمة ، ويدعو اليها أصدق دعوة · يدعو اليهابفعله قبل قوله ، وبقلبه قبل لسانه ، وبخلقه قبل علمه· ويومئذ لا تعود ترى أو تسمع ان العربى يعيش فى الغربة مقطوع الاسباب عن بلده وقومه · لا يعرض عن وطنه على الناس الا صورة الباطل ، ولا يتكلم عن أخيه فى الغيب الا كلمة السوء·· ذلك لان الروح الوطنى الاشتراكى الذى يستمد سناه وسناه من روح الله اذا سرى فى نفس ابن آدم جعل فرديته قومية ، وأنانيته غيرية ، وعصبية انسانية ، وخاصته من الخير لله وفى الله عامة !

أحمد حسن الزيات

مما نشرته الرساله

لابد من رمضان بعد أحد عشر شهرا قضاها المرء فى جهاد العيش مستكلب النفس مستأسد الهوى ليوقظ رواقد الخير فى نفسه ، ويرهف احاسيس البر فى شعوره ، ويرجع روحه الى منبعها الأزلى فتبرأ من أوزار الحياة ، وتطهر من أوضار المادة ، وتتزود من قوى الجمال والحق والخير ما يمسكها العام كله على فتنة الدنيا ومحنة الناس ·

فرمضان رياضة للنفس بالتجرد ، وثقافة للروح بالتأمل ، وتوثيق لما وهى بين القلب والدين، وتقريب لما بعد بين الرفه والمسكين ، ونفحة من نفحات السماء تغمر دنيا المسلمين بعبير الخلد وأنفاس الملائكة ! ورمضان ثلاثون عيدا من أعياد القلب والروح تفيض أيامها بالسرور ، وتشرق لياليها بالنور ، وتفتر مجالسها بالأنس ، ويغمر الصائمين فيض من الشعور الدينى اللطيف يجعلهم بين صحوة القلب ونشوة الجسد فى حال استغراق فى الله ، يتأملون أكثر مما يعملون ، ويستمعون أكثر مما يتكلمون · فاذا أمسى المساء وفرغوا من الطعام والصلاة انتشروا فى المدينة بالبهجة والزينة · فالرجال يحضرون مجالس القرآن فى البيوت أو محافل السمر فى المنتديات · والنساء يوزعن الوداد على منازل القريبات والصديقات والاطفال يفرحون باناشيدهم ومصابيحهم الميادين والطرقات ، والدور الباقيا على العهد تتقرب الى الله بالذكر والصدقات، والمساجد المقفرة طول العام تعج بالوعظ والصلوات والمآذن الحالية بالمصابيح الشادية بالتسابيح ترسل فى أعماق الابد نور الله وكلمته .

ورمضان مظهر قومى رائع ؛ يعيد الى القاهرة عز القرون المواضى ، فيصبغ لونها الاوربى الحائل بصبغة الشرق الجميلة ، ويرفع صوتها الخافت بشعائر الصوم الجليلة ، ويبرز شخصيتها الضائعة فى زحمة الاجانب بالمظاهر الرسمية للحكومة والتقاليد العرفية للشعب ·

وما أروع القاهرة فى سكتتها عند الافطار وجلبتها عند السحور وهزتها عند انطلاق المدفع

ورمضان بعد أولئك كله رباط اجتماعى وثيق ، يؤكد أسباب المودة بين أعضاء الأسرة بالتواصل والتعاطف ، وبين أفراد الامة بالتزاور والتآلف ، وبين أهل الملة بذلك الشعور السامى الذى يغمرهم فى جميع بقاع الارض بأنهم يسيرون الى غاية الوجود قافلة واحدة ممتزجة الروح متحدة العقيدة متفقة الفكرة ، متشابهة النظام متماثلة المعيشة ··

(الزيات)

تصويبات

وقعت فى افتتاحية العدد الماضى أخطاء مطبعية ، فيما يلى تصويبها :

فى الصفحة ٢ العمود الاول

فان من يدين بالزعامة لشعبه لا حزوبه
والصواب لا لحزبه
الاديان قبلة الاسلام الاول
والصواب وقبلة الاسلام الاول
وعيات
والصواب وعيهات

فى الصفحة ٢ العمود الثانى

تستجن لزعيم
والصواب تستجر
وفى هذا الانتقاد الذى يجرى على كل لسان
والصواب الانتقاض

شاعر ملتزم

بقلم : الدكتور محمد احمد خلف الله

هو شاعر عربى ، يؤمن بالقومية العربية ، ويلتزم فى شعره التبشير بها ، والدعوة اليها ، والدفاع عنها . وهو فى ذلك لا يصدر عن مجاملة او نفاق ، وانما يصدر عن ايمان عميق . ويعبر عن ايمانه هذا فى قوة وصراحة ، وعن دعوته تلك فى الفاظ رنانة ، تسمع من فى اذنيه صمم ، وتكشف الحقيقة امام بصيرة من فى قلبه مرض او على بصره غشاوة .

والشاعر الملتزم هو الشاعر رشيد سليم الخورى المعروف باسم الشاعر القروى ، وهو الذى يقول :

وانى لصداح العروبة طاب لى
شدوى على سرواتها وتنقلى
ووقفت الحانى على المجد الذى
ابلى الزمان مع العظام وما بلى

* * *

ويقول

من ينبىء الملا الذين احبهم
فيكافئون الحب بالعدوان
انى على دين العروبة واقف
قلبى على سبحاتها ولسانى
انجيلى الحب المقيم لاهلها
والذود عن حرماتها فرقانى
ارضيت احمد والمسيح بثورتى
وحماستى ، وتسامحى وحنانى
يا مسلمون ويا نصارى دينكم
دين العروبة واحد لا اثنان
بيروتكم كدمشقكم ودمشقكم
كرباطكم ، ورباطكم كعمان
ستجددون الملك من يمن الى
مصر الى شام الى تطوان
وستكفلون حضارة الدنيا كما
كفل الجدود حضارة اليونان
فاجروا الى الغايات جرى جيادكم
أيقصر العربى عن حيوانى
لا تيأسوا ان لم يطر بعوبكم
قبل اكتمال وسائل الطيران
لله اذ يرعى القطيع مشيئة
ان يدفع الذؤبان بالذؤبان
كبش النبوة كبشكم فتريثوا
حتى يذر لراسه قرنان
لا تكفروا . انما بعثتم مرة
لم لا يكون لمؤمن بعثان

* * *

والتزام الشاعر للدعوة العربية لم يكن ابدا على حساب الحرية الفنية ، فالشاعر يقدرها حق قدرها ، ويراها ضرورة حتمية للخلق وللابداع . انها عنده من انفس ما يجب ان يحرص عليه الفنان، اذ الفن الصحيح لا يحتمل القيود ، ولا يخضع لاوامر خارجية تجيئه من ذى نفوذ أو من صاحب سلطان . انه لا يحيا ولا يزدهر الا اذا فاض حرا طليقا من منابع النفس البشرية . انما يصدر الالتزام عند شاعرنا من طبيعة العمل ، ومن مسئولية الفنان ـ مسئوليته امام نفسه . ومسئوليته تجاه المجتمع وما يجيش فيه من اضطرابات ، وما يصطرع فيه من ارادات .

ويفسر الشاعر مذهبه فى الالتزام تفسيرا واضحا فى جدله مع اولئك الذين يختلفون معه فى المذهب الشعرى فيقول مرة « **ولقد يقول الناقدون ، ما شان السياسة فى الشعر ، ان الشعر لارفع من هذه الأباطيل .. انه تنكب عن اغراض الدنيا ، واعراض عن سفاسف الحياة ، وتلمس للمثل العليا . ثم يقولون من ناحية اخرى : الشعر الحقيقى هو ما مثل الحياة اكمل تمثيل . والشاعر العظيم هو صورة محيطه الناطقة . هو دليل امته الذى يتقدمها كعمود النور فى ليالى محنتها رافعا لواء الحق ، هو بشيرها فى الشدة ينعشها بالرجاء ونذيرها فى الرخاء يقيها مزالق البطر .**

فنقول لحضرات الناقدين : انا اذا واياكم

لجد متفقين . ولا خلاف بيننا الا ان ما نسميه نحن وطنية اخطائم انتم فدعوتموه سياسة .

اننا في هذا الشعر لم نخض معارك انتخاب ، ولا تدخلنا في احزاب ، ولكنا جهرنا بالحرية ، ونادينا بالاستقلال ، وطالبنا بالحق ، ونشدنا العدل ـ والحرية والحق والعدل ليست من اباطيل الحياة . انها من اشرف مبادئها ، وانبل غاياتها .

ولقد عبرنا في شعرنا عن اعمق جراحات امتنا المطعونة في صميم عزتها وابائها ، واعربنا في صيحاتنا عن اسمى ما تفامر بلادنا في سبيل استرداده من شرف مروم كان فوق النجوم فبات سحيقا تحت اقدام الغزاة وسنابك خيل الغاصبين ...

ان صراخ سوريا وعويلها يكاد يقض مضاجع النائمين في المريخ ، ودخان غيظها يوشك ان يبطن القبة الزرقاء بقبة سوداء ، أفتريدون منا ان نجترح المعجزات فنسمعكم همس الأزهار وسط هذا الضجيج ، ونصور لكم الوان الشفق وراء هذا القتام ...

وهبوكم لا تؤمنون بغير الارض وطنا وغير الانسانية عشيرة، افتعتقدون ان الأرض قد صارت جنة والناس فيها ملائكة ينعمون ؟

واذا كنتم ولا شك تشعرون بفقرها الى الاصلاح ، فلماذا لا تباشرونه من اقرب اقطارها اليكم ؟

ان الذى يغضب لحق هضم في الصين ، اولى به ان يناضل لدفع حيف نزل ببلاده . والذى ينفر لنصرة مظلوم في آخر الدنيا ، لحرى بأن يذود عن ضعيف يصرعه البغى بين شماله ويمينه .

ان الحرية هى الحياة بمعناها الشريف ، وهى اول حقوق الانسان ، فهل من شروط حبكم للانسانية ان تنكروها على اقرب ابناء الانسانية اليكم ؟ ؟

الا فاشتروا براقع لوجوهكم ايها المراؤون ، او فاستروها باكفكم خجلا .

ان الذى لا يستطيع ان يحب نفسه واهله لا يستطيع ان يحب من الناس احدا . » .

ويقول في مرة ثانية : « ما كدت انهض بقادمتى حتى صكت مسمعى انات امتى ، ولفحت وجهى زفراتها ، فطويت جناحى عند سريرها مخفضا خيالى لواقعها الأليم ، مقدما واجب تمريضها على التغريد في الخمائل ، والتنقير بين الحقول . ولو انى ادركت امتى صحيحة قوية لحلقت مع الأسراب في الف سماء بعد سمائها .

لقد سلب اللصوص نصيب امتى من خبز الحرية والعدالة والحق ، وغادروها في وطاء الذل مدنفة تدميها القيود . والحرية والعدالة والحق اسمى المعقولات التى ينشدها الانسان الراقى ، بل اغلى الجواهر الروحية المشعة من صدر الرحمان. لا يحيا قلب نبيل الا بقطر نداها ، ولا يمكن ان يتصور خير ، ولا جمال ، ولا سعادة ، في هذا الوجود الا بانعكاس نورها ..

وما الشاعر الوطنى الحمى في امة مستعبدة الا الشاعر الانسانى قبل اى شاعر سواه ـ لان هذه المبادىء التى يسبح لها ، ويصلى في محرابها ، ويجاهد في سبيلها . ليست معبودة وطنه فحسب، بل هى معبودة الأوطان جميعا .

ولعمرى ! اية قيمة ، واى سرور ، واى فال يجد المتبجحون بانسانيتهم المتخدرة ، في عالم لا حرية ولا حق ولا عدالة فيه » .

* * *

ويقول ثالثة : ولعمرى ان ما حاق بالبلاد العربية عامة من البلاء في العقدين الأخيرين ، وما توالى على وطنى خاصة من ضربات لخليق بأن يخلق لها شاعرا بل شعراء تشكو بهم ضيمها ، وتفصح عن حقها ، فينفسون بصيحاتهم كروبها ، ويخففون آلامها ، ويبعثون آمالها ، ويستنهضون همتها ، ويشددون عزيمتها . على انى لا ادرى والله لندرتهم بل لانعدامهم سببا . فالبلاء ما خص بالحوداث الجسام ، تنتابها الخطوب عدد انفاسها . وابناؤها بين متهافت على وظيفة يخسر نفسه ليربحها ، وعابد بغيا يسفح شبابه على اقدامها ، وعلاك اوزان تمر به قوافل الحياة قطارا تلو قطار ، رازحة بعبر الدهر وعظات الأجيال وهوّ واقف ازاءها وقفة الفر الابله، يتلهى بتشطير وتخميس، او يباهى في وصف ساعة معلقة على جدار . كأن ليس فيما يجرى

الإسلام والعروبة

للدكتور طه الحاجري

العروبة – فيما نعرف ، وفيما نحس به جميعا هي الوصف العام للعرب ، الدال على خصائصهم المشتركة بينهم ، المعبر عن حقيقتهم الشائعة فيهم ، فهي بهذا تعنى الصلة التى تربط بعضهم ببعض ، افرادا وشعوبا . وقوة هذه الكلمة فى شيوعها وتغلغلها ، وفى قدرتها على اثارة مشاعر الترابط والتعاطف والتآزر ، انما تصدر فى حقيقة الامر عن قوة هذه الصلة ، أو قوة الاحساس بها .

اما هذه الصلة التى تعبر عنها هذه الكلمة فانها ترجع فى كيانها الى مجموعة الصفات المشتركة بين العرب والعناصر الأصيلة فى تكوينهم ، فهى اذن صلة قديمة عريقة اصيلة ، لا امر طارىء ، او عاطفة مختلقة عابرة ، استحدثتها بعض الظروف ، او اثارتها بعض الشخصيات ، كما يحلو لبعض خصوم العروبة أن يرددوه أحيانا . واذا كان الاحساس بهذه الصلة قد اتخذ صورة واضحة قوية فى هذه السنوات الاخيرة ، فليس معنى ذلك أن هذه الصلة انما نشأت فى هذه السنوات ، فهناك امران متميزان لا يجوز الخلط بينهما ، وهما : وجود هذه الصلة ، والاحساس بها أو وعيها – كما يقال – فالذى نشأ فى هذا العصر ثم قوى واشتد وعنف انما هو الاحساس بهذه الآصرة ، بعد ان ظلت كامنة فترة غير قصيرة ، خلال القرون الاخيرة التى امتحن فيها العرب بما ضرب عليهم من الضعف والوهن والاستكانة ، وماخيم عليهم من الظلمات التى جعلتهم يعيشون فى عالم مقصور على حاضرهم الذليل المهين ، حتى اذا اخذت هذه الغياهب تنجلى عنهم ، وتنكشف صورة الحياة الحقة لهم ، وتتبين لهم حقائقهم التى ظلت مطوية دونهم ، واخذوا يعرفون فى هذا العالم مكانهم ، فقد جعلوا يحسون بهذه الصلة ، لانها جزء من كيانهم ، مشتق من العناصر الاصيلة فيهم . وكلما كثرت العوامل التى تثير حميتهم ، وتقوى ايمانهم بانفسهم ، قوى هذا الاحساس واشتد تجاوبه بينهم ، حتى بلغ اخيرا هذا المبلغ الذى نراه رأى العين : قويا عنيفا جارفا

هذه هى حقيقة الامر فى العروبة ، فهى اذن شىء اصيل قار ثابت ، لا ينفصل عنا ، لانه جزء من كياننا ، وان كمن حينا من الدهر ، كما كمنت جميع قوانا وفضائلنا .

وبنا الآن ان نلقى نظرة سريعة على المراحل الكبرى التى مرت بها العروبة ، وما تعرضت له خلال هذه المراحل ، ففى ذلك ما يدلنا على عناصرها التى كونتها ، كما يرسم لنا خطوطها الرئيسية البارزة

***

كانت العروبة – قبل الاسلام – هى الرابطة التى تربط بين سكان الجزيرة العربية ، ومن تجاوزها منهم الى ما وراءها . وكانت تقوم على وحدة الجنس ووحدة اللغة ، وان اختلفت لهجاتها واتسع هذا الخلاف احيانا . ولكن هذه الرابطة

خلفه وبين يديه من ساعات الهول ، واهوال الساعة ، ما يحرك له خاطرا ، او يهيج شاعريه ؟ او ليس من الغبن الفاضح ومن دواعى اليأس القاتل ان يموت فى الأمة شاعر فتصبح الامة بأسرها شعراء تبكيه وترثيه ، وتموت الامة بأسرها فلا تجد لها شاعرا يرثيها ؟ ؟ »

ونخلص من كل ما تقدم الى القول بان واجب رجل الفن فى أوقات الأزمات أن يكون شاعرا بما يجيش به المجتمع من قوى ، وما يصطرع فيه من ارادات . وأن تتأثر نفسه بكل هذا ليخرج فنه صورة صحيحة للحياة كما هى .

يجب الا يعيش رجل الفن على هامش الحياة بل فى صميمها . والا يهرب رجل الفن من الحياة وانما يجب ان ينزل الى ميدانها ، فتضطرب نفسه بما يرى ويحس ، ويصدر فنه قوة تفتح مكامن النفوس ، وتكيف سبل الحياة . وعند ذلك يكون الشعور بالتبعة لا قيدا خارجيا يضغط ويقلص ، بل قوة داخلية ترفع وتنمى ، فتزيد من ادراك الاديب للحياة وقدرته على تصورها أولا ثم تصيبه فى توجيهها وتحريرها ثانية .

دكتور محمد أحمد خلف الله

كان يشوبها ويوهن منها ما كانت حياة البداوة تفرضه على اهل الجزيرة من عصبية قبلية، وماكانت تثيره بينهم من خصومات وحروب ، فما تكاد صلة العروبة تجمع بينهم حتى تأخذ العصبيات القبلية في توهين هذه الصلة ونقضها انكاثا . اذ تفرقهم الى يمنيين وعدنانيين ، والى ربعيين ومضريين ، والى بكريين وتغلبيين ، والى تميميين وقيسيين ، والى عبسيين وذبيانيين ، الى غير ذلك مما لم يكد يقف عند حد ؛ وكان من شأنه – لو انه استمر على تلك الصورة – ان يقضي على عربية اهل الجزيرة العربية ، ويبدد هذه الرابطة الطبيعية التي تربط بينهم ، لتحل محلها روابط جزئية، قبلية وعصبية، تتحلل هي بدورها الى روابط اصغر منها ، كل منها تحارب الاخرى ، وهكذا .

ولكن الرابطة الكبرى «رابطة العروبة» استطاعت ان تغالب عوامل التحليل ، وان تظل كامنة وراء هذه الخصومات والخلافات والعصبيات ، حتى اتيح لها ان تخرج من مكمنها «وان تحقق وجودها» وان تنتصر على تلك العوامل المفرقة المبددة، وذلك بظهور الاسلام ، فقد اتاح لها ان تنتصر على ماكان يهددها من هذه الخصومات والعصبيات ، كما امدها بقوة جديدة آزرتها ومكنت لها ومدت من سلطانها .

وضع الاسلام للعرب هدفا كبيرا وغاية عليا ، والزمهم ان يولوا هذه الغاية وجوههم ، وان يصرفوا اليها قواهم ، لا يميل بهم عنها شيء ؛ وفي سبيل ذلك يجب ان يجتمع امرهم ؛ تلك هي الدعوة لهذا الدين الذي سيطر على نفوسهم ونشره بكل وسيلة واقراره في ضمير الانسانية ، حتى تخلص مما هي مرتكسة فيه .

وفي سبيل هذه الغاية الكبرى ، تزول المآرب الصغرى .

وعند هذه الوحدة الشاملة لا سبيل لتلك العصبيات القبلية .

وبذلك حرم الاسلام العصبية القبلية تحريما صريحا قويا جازما ، اخرج دعاتها والمستجيبين لها عن حدود الاسلام ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من دعا الى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية » ، وسميت بدعوة الجاهلية ، فقد كانت هذه العصبية القبلية التي كادت تقضي على العروبة قبل الاسلام تتعارض تعارضا صريحا مع المبادىء التي جاء بها الاسلام ، والتي قامت الدولة الاسلامية على اساسها .

وبهذا نرى ان قيام الاسلام قد عصم العروبة من آثار تلك العصبية ، وما كاد يحيق بها من تحلل وانهيار بسببها .

***

لم تلبث هذه الدولة الجديدة التي نشأت في الجزيرة العربية ، ووحدت كلمة العرب فيها ، واعتصمت بها العروبة ، ان امتدت اطرافها واتسع سلطانها ، واشتملت على كثير من الاقطار المتاخمة والنائية ، ودخل في طاعتها كثير من الشعوب المختلفة في اجناسها ولغاتها ونوازعها ، على اساس الايمان بهذا الدين ، والأخذ بتعاليمه ومبادئه .

فقد كان هناك اصل واحد قامت عليه هذه الدولة ، وامتدت هذه الفتوح لتحقيقه ، وهو نشر الدعوة الاسلامية ، واخراج الانسانية مما كانت مرتكسة فيه من ضلالة وحمق وجهالة .

تلك كانت الرسالة التي غمرت نفوس العرب ، وسيطرت عليهم في الفتوح التي خرجوا لها، فأينما بلغت بهم هذه الفتوح فان نشر الاسلام والتعريف باصوله ومبادئه وآدابه ، كما جاء بها القرآن، كان غايتهم الاولى وهدفهم الاكبر ، لا يلفتهم عنه شيء، ولا يصرفهم عنه صارف. وتقبلت الشعوب المختلفة هذا الدين بنفوس راضية ، اذ وجدت فيه حاجتها الروحية التي كانت تفتقدها ، واقبلت على مبادئه وتعاليمه، دراسة لها وتفقها فيها ، وجعلت تلتمس الوسائل المختلفة التي تقتضيها هذه الدراسة ؛ في نشاط وحمية ؛ ثم كانت الظروف الاجتماعية الجديدة مما مضى بهذا الاتجاه قدما ، حتى بلغت هذه الشعوب في هذه الدراسات مبلغا مذكورا وشأوا بعيدا .

وهكذا نشأت عن هذا الدين ، وعن كتابه العربي المبين ، ثقافة اسلامية عربية ، كانت ثقافة هذه الشعوب المختلفة ، منذ اتخذت الاسلام دينا لها ، وقد طبعتها هذه الثقافة بطابعها ، ووجدت سبيلها

وبذلك لم يكن الاسلام دينا فحسب ، ولكنه كان دينا وثقافة وحضارة معا ، وقد ربط بين هذه الشعوب المختلفة بهذه الروابط التى تناولتهم من باطنهم ، اذ وحدت مشاعرهم العليا ، وحياتهم العقلية ، فتكونت بذلك وحدة واسعة قوية وثيقة

وهنا نرى انفسنا ازاء وحدة جديدة تختلف عن الوحدة التى رايناها قبل فى الجزيرة العربية ، فهى وحدة كبيرة تشمل عالما واسعا فسيحا، يمتد ما بين المشرق والمغرب ، وازاء رابطة جديدة لاتقوم على أساس العرق العربى الذى يتمثل فى سكان الجزيرة العربية ، وانما يقوم على اسس جديدة متعددة متشابكة ، من الدين واللغة والثقافة والحضارة والتاريخ ، الى جانب العرق الذى انبث فى هذه الشعوب .

ما هى العلاقة بين هذه الرابطة والرابطة التى سبقتها ،وهى رابطة العروبة العنصرية المحضة ؟

اهى رابطة جديدة تختلف كل الاختلاف عنها ؟ ام هى امتداد وتطور لها ؟

لا ريب عندنا فى ان الاسلام لم يجىء ليكون دينا محليا او قوميا ، وانما هو دين انسانى عام ، وانه قد احدث انقلابا واسع المدى فى الحياة الانسانية عامة . ذلك امر لا سبيل الى الخلاف عليه او الجدال فيه . ولكنه لا يعنى ان الاسلام منقطع الصلة بالعروبة ، فان صلته بها فى نشاته الاولى، وفى امتداد رسالته واتساعها ، اوسع واظهر من ان تكون موضوع خلاف او مثار جدل .

وقد راينا ان الاسلام هو الذى مكن للعروبة التى كادت تتهاوى وتنفصم عراها وتذهب فى غمرة العصبيات القبلية فى الجاهلية ، فهو الذى دفع عنها هذه المحنة . وقد خرج بهذه العروبة من نطاق الجزيرة العربية حين خرج العرب ينشرون الدين، ويحملون الى الدنيا كتابه العربى المبين ، ثم كان ذلك النشاط الثقافى الاسلامى العربى الذى اشرنا اليه ، والذى جعل الاسلام منذ اول امره دينا وثقافة معا ، لا يكاد الواحد منهما ينفصل عن الآخر .

وقد كان هذا الارتباط الوثيق مما وثق الصلة بين الاسلام والعروبة ،خارج الجزيرة العربية ، الى جانب العوامل الجديدة التى اتاحها الاسلام ، والتى مكنت للعروبة أشد تمكين ، وبسطت من سلطانها فى الاقاليم المختلفة التى تكون منها العالم الاسلامى ، حتى لقد اصبح من الممكن أن يوصف هذا العالم بانه عالم عربى ، كما يوصف بانه عالم اسلامى ، فالعربية لغته واداة ثقافته التى هى ثقافة اسلامية عربية معا .

وهكذا كانت الرابطة التى تربط بين شعوب هذا العالم رابطة ذات وجهين :اسلامى وعربى . فسواء قلنا انها رابطة العروبة ام قلنا انها رابطة الاسلام ، فليس بين القولين تعارض او اختلاف ، على هذا النحو الذى بينا .

وقد ظلت هذه الرابطة بوجهيها قوية وثيقة، كما ظل الاحساس بها يغمر نفوس المسلمين ، بل ومن لم يتخذ الاسلام دينا ، فقد كانت ثقافته اسلامية عربية ، وان لم يكن مسلما ، انطبع بها عقله ، وتاثر بها سلوكه ، فالمسلمون وغير المسلمين ، والعرب وغير العرب ، كانوا سواء فى الانضواء تحت هذه الرابطة ، وفى عمق الاحساس بها ، لانها رابطة اتحدت عناصرها حتى لا انفصام لها .

وقد حاولت بعض النزعات الشعوبية ، وهى النزعات القومية المتطرفة ، ان تفصل بين الاسلام والعروبة ، فلم يغن عنها ما حاولت من ذلك شيئا .

وقد ظل الامر على ذلك ما بقى المفهوم الثقافى للاسلام ماثلا فى النفوس ، حتى اذا اطبقت ظلمات القرون المتاخرة على العالم الاسلامى ، فاستسلمت الشعوب الاسلامية لعوامل الركود ، وضعف لذلك الاهتمام بالناحية الثقافية ، فضعف تبعا لذلك هذا المفهوم الثقافى للاسلام ، فقد ضعفت هذه الصلة بين الاسلام والعروبة ، وبذلك صح لقائل ان يقول: ان الاسلام شىء والعروبة شىء آخر ، كما اصبح القول بجامعة اسلامية يخالف القول بجامعة عربية، ولم يكن لشىء من ذلك معنى فى عصور الازدهار ، وانما هو اثر من آثار عهد الانحطاط الذى منى به العالم الاسلامى ، وجريرة من جرائره . وذلك ما ينبغى ان نراجع فيه انفسنا ، وننظر فيه نظرة جديدة متحررة من هذه الجرائر .

وحين اخـذت الامة العـربية تستيقظ من تلك الغفوة الطويلة التى قطعت اوصالها ، اذ فقدت فيها الاحساس برابطة العروبة، استيقظ معها الاحساس بتلك الرابطة ، وقد اخـذت تتمثـل بوجيهها : الاسلامى والعربى جميعا .

وكان من ذلك ان الدعـوة الى تطهير الاسـلام مما ران عليـه وتكر حقيقته فى ظلمـات العصـور المتأخرة ، والرجوع الى ينابيعه الصافية الاولى ، كانت مقترنة بالدعوة الى استحياء تراثنا العـربى واصلاح اسـاليبنا العربية ، واسـترداد مجـدنا الاسلامى العربى فى وقت معا ، لا تفرقة بين هذا وذاك . انما هما جميعا شىء واحد .

وكان هؤلاء الدعاة يمثلون القوة اللغوية العربية الى جانب الحمـاسة الدينية والبصيرة الاسلامية ، سواء فى ذلك من خرج من بيئةعربية كالاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، ومن نشـأ فى بيئة اعجميـة كجمال الدين الافغانى

ولم تقتصر هذه الظاهرة من ظواهر النهضة على الشرق العربى ، فهى فى حقيقتها ظاهرة عامة فى الشرق العربى والمغرب العـربى جميعا ، اذ الامر فيهما واحد . ولا عبرة بما يقوله بعض الاجانب ، ويرددونه فى كل مناسـبة ، ويلحون عليـه تقريرا وتوكيدا ، من التفرقة فى هذا بين المشرق العـربى والمغرب العربى ، وذلك كالذى يقـوله « لوثروب استودارد » العالم الامريكى ، فى كتابه الذى ترجم الى اللغة العربية سنة ١٩٢٥ باسم « حاضر العالم الاسلامى » ، وان يكن هذا الكتاب فيما اشتهر عنه وما تدل عليه بعض فصوله ــ من اقرب كتب القوم الى الانصاف ،وادناها الى تحرى الدقة ، « توخى صاحبه العدل فى الحكم ، والاعتدال فى الوصف ، والوقوف عند اعتراض الشك » ، كما يقول شكيب ارسلان فى مقدمة طبعته الاولى . ولكن الرجل ــ بالرغم من ذلك كله ــ قد وقع فيمـا يبدو تحت تأثير التكرار والترداد الذى ما زال علمـاء الغرب وساسته يأخذون به فى هذه القضية ، قضية الشرق العربى والمغرب العربى ، حتى يبدو ما يزعمـونه فيهـا كأنه الامر البـديهى الذى لا ينبغى ان يثير جدالا او يخالف عليه احد ، فكان من العسير ان يستعصم الرجل من هـذه الفتنة ، وكان ما ذهب اليه فى الفصـل الخـامس الذى عقـده للكلام عن العصبيـة الجنسيـة ، يعنى القومية ، فى سياق كلامه عن روح العصـبية ، او القـومية ، فى الاقطار الافريقية الشـمالية ، وانكاره وجود هذه الروح ، ونفيه ان يكون شـعب من شـعوب هـذه الاقطار سائرا فى سبيل يصير بها امة صحيحة ، لان معظم سواد هذه الشعوب من البربر . وذلك اذ يقول :

« .. ويخالط البربر فى الاقطار الافريقية كلهـا العرب الذين جاءوها من آسيا مخالطة على اقدار مختلفة ، فالعرب قد اسـتطاعوا حقا ان يستعمروا افريقية الشمالية كلها عند الفتح الاسـلامى ، اى منذ اكثر من اثنى عشر قرنا ، وان يجعلوا البربر يدينون بالرسالة الاسلامية ، ويستعربون تهذيـبا واخلاقا ، ولكنهم لم يستطيعوا تصيير شمال افريقيه قسما من العالم العربى » .

وانا لا ادرى ايخادع القوم انفسهم ام تخدعهم بعض الاعتبارات السطحية التى لا يستطيعون ان يتعمقوا ما وراءها ، حين يزعمون ان الفتح الاسلامى اسـتطاع ان يجعل من بلاد شـمال افريقية بلادا اسـلامية ، ولكنه لم يستطيع ان يجعل منها بلادا عربية .

وتلك هى الخدعة الكبرى التى جعل القوم يبنون عليها تفسـيراتهم ، ويخطون عليها سياستهم .

والحق انى لا استطيع ان اتصور ان باحثا علميا ــ ايا كانت منزلته ــ يستطيع أن ينكر على هـذه البـلاد عروبتها ، لان جمـاعات من البربر فيهـا استطاعت ان تحتفظ باللغة البربرية ،، تستعملها ــ الى جانب اللغة العربية ــ فى حياتها الخاصة .

***

لقد مضى الاسلام والعروبة معا ، لم يفترقا الا عندما اخذت عوامل التفكك والانحلال تسيطر على العالم الاسلامى ، ولم تفقد بعض الاقطار ــ كايران مثلا ، على شدة عصبيتها وقدم النزعة الشعوبية فيها ــ عروبتها ، الا حين وقعت الشعوب الاسلامية تحت وطأة التأخر والخمول والانصراف عن الحقائق العليا .

وكما فقدت هذه الشـعوب عروبتها التى جاءتها مع الاسلام ، فى هـذه الفترة ، ففى هـذه الفترة

الشعراء السكندريون الأوربيون

بقلم : نيقولا يوسف

عاش معنا فى هذه المدينة الشاعرة ، جمع من الشعراء الأوربى الأصل السكندرى المولد او النشأة ، ممن احبوا بلادنا ، وتغنوا فى شعرهم بمحاسنها ، وكانوا لها الأوفياء الصادقين .. ولهذا فنحن نبادلهم الوفاء ، رنذكرهم راحلين واحياء — شعراء سكندريين واصدقاءمواطنين .. مهما نازعنا غيرنا هؤلاء الموهوبين ، وعدوهم من الشعراء العالميين .

وكانت الاسكندرية ولمتزلوطناولئك الشعراء— يقلسونه آماله وآلامه ، ولا يذكرون غير اسمه بين الاسماء .. فهنا منولد منهم وعاش عمره ، وربطته به ذكريات الطفولة ، ورنات الآباء ، ومغانى الشباب ومنهم من جاء طفلا او صبيا ، وشب به وشاب .

وكان الكثيرون منهم من الشعراء الموهوبين ، فما لبثوا ان اضرمت الصور السكندرية شاعريتهم ، بقدر ما اضرم حبها قلوبهم .. وعهدنا بهذه المدينة الساحرة — منذ ان ولدت فى هذا المكان — تلهم اهلها على مختلفاجناسهم ، الفنون فى شتى انواعها وبخاصة الشعر .. وهل يعود ذلك الى ما حبتها به الطبيعة من جمال فى البحر والصحراء والزرع ؟ ام الى جوها البلورى ، وصفاء سمائها ، وسناء حسناتها ؟ ام الى موقعها الفريد بين قارات ثلاث — عريقة فى حضاراتها وفنونها ؟ ام الى رخائها الاقتصادى الناجم عن هذا الموقع الممتاز ؟

لعل هذا كله مجتمعا ، ما ساعد على بقاء هذه الشجرة الثقافية ، عميقة الجذور ، مديدة العمر ، وارفة الظل — منذ ان غرست فى القرن الثالث قبل الميلاد ..

ومنذ اواخر القرن التاسع عشر ايضا شهدت الاسكندرية موكب الشعراء الاوربيين ، من ابنائها والمستوطنين .. وعلى راسهم الشاعران الكبيران : اونجريتى الايطالى ، وكفافى اليونانى .. ثم فشتر السويسرى ، ولويس فليرى المالطى ، وهنرى تويل الفرنسي وزملاؤهم . وكان لكل لغة جماعة من شعرائها وصحيفة او مجلة لادبها .

وسرعان ما تزامل الشعراء الاوربيون السكندريون مع مواطنيهم من شعراء العرب ، ممن كانوا ينظمون الشعر بالفرنسية ، امثال : احمد راسم وعبد المنعم الخضرى ، وجوريس شنوده ورينيه طاسو ، وميشيل زغيب ، وجاستون زنانيرى ، وشارل ثابت .. والشاعرات : جان ارقش ونيلى زنانيرى ، وسيلين اكسلوس ، وجوزيه صيقلى — ومن هؤلاء المصرى ومنهم اللبنانى — وكثيرا ما كانت تتجاور قصائد هؤلاء واولئك على صفحات المجلات الفرنسية المحلية ، ثم تجتمع قصائد كل منهم فى ديوان من الشعر يحمل اسمه ، وتستطيع اليوم ان

ضعفت عروبة الشعوب الاخرى التى لم يكن فى عروبتها شبهة ولم تشبها شائبة ، حتى اذا انقضت هذه الفترة راجعت هذه الشعوبعروبتها ، وكان الاحساس بها من اظهر مظاهر نهضتها ، فى الشرق العربى والمغرب العربى جميعا

اما تلك الشعوب الاخرى التى فقدت عروبتها ، فقد اخذت العروبة تدب فيها ، وان يكن فى وثبة وفتور ، ولكن شعورها بالحاجة الى استعادة مجدها الادبى العربى اخذ بداخلها ، ويترك بعض مظاهره فى حياتها ، كما نرى ذلك فى صور النهضة العربية فى الهند وباكستان وافغانستان وتركستان وما اليها ، ونحن نعلم مدى عناية الهند بالعربية واحياء آثارها ، كما نعلم الخطوات المباركة التى اخذت باكستان تخطوها نحو تعليم ابنائها العربية ، وما نزال نذكر الاقتراح الذىتقدم به مجلس نوابها ان تتخذ اللغة العربية لغة رسمية لها .

واكبر الظن اننا على ابواب نهضة عربية تصل حاضر هذه الاقطار بماضيها ، كما تجدد الصلةالتى كانت تربط بينها وبين الشعوب العربية برباط وثيق ، وبذلك تسير العروبة والاسلام فيها جنبا الى جنب ، كما كان الامر فى النهضة الاسلامية العربية التى شملت الشعوب العربية عامة ، منذ القرن التاسع عشر .

طه الحاجرى

تحصى العشرات من تلك الدواوين ..

والشعراء السكندريون الاوربيون الذين لمعت اسماؤهم منذ اواخر القرن التاسع عشر ، وما زال بعضهم يعيش بيننا حتى الساعة ، كانوا ينظمون اشعارهم ويصدرون دواوينهم فى لغات اوربية اهمها الفرنسية واليونانية والايطالية .. واذا كانوا قد نظموا الشعر فى لغات اجنبية بحكم نشأتهم الاولى ، فلا ننسى اولا ان اللغة بالنسبة للشعر ، اشبه بالرداء للجسد . والجسد لا يتبدل بتغيير الملبس فى غير ناحية المظهر والشكل . واننا اذا احسنا ترجمة شاعر كبير الى غير لغته ، بقى شعره محتفظا بروعة جوهره وطبيعته كما نرى مثلا فى شعر تاجور المترجم الى مختلف اللغات .. وثانيا — ان هؤلاء الشعراء الذين نظموا بلغة غير عربية لسبب ما ، كانوا سفراء لدولة الادب خارج بلادنا . فأطلعت الأمم الأخرى على صور حسنة كثيرة — من أرضنا وتاريخنا ومشاعرنا — وليس اقوى من الشعر رباطا بين القلوب البشرية...وكثيرا ما ترجم هذا الشعر فى سهولة من لغة الى اخرى ، ومن السهل ايضا ترجمته الى العربية .

وحدث لأسباب تاريخية وجغرافية — ان كان اليونانيون السكندريون اكثر الجاليات الاوربية عددا ، واشدها اندماجا فى العرب ، واسرعها تعلما للغة العربية ، وانشطها اسهاما فى الميادين الثقافية والاقتصادية فكان من الطبيعى ان تظهر لهم منذ القرن الماضى صحف يومية فلمعت بينهم اسماء كثيرة من الشعراء والكتاب ..

ويقف على راس الشعراء السكندريين الاوربيين، الذين نظموا بالايطالية : الشاعر الكبير « يوسف اونجريتى » احد شيوخ الشعراء المعاصرين فى اوربا .. وقد ولد بشارع منشه بحى محرم بك فى الاسكندرية يوم ١٠ من فبراير عام ١٨٨٨ ، وتعلم بمدارسها ، وتأثر ببيئتها واستلهم شاطئها بواكير شعره ، وتردد على ندوات شعرائها وبخاصة صومعة الشاعر « هنرى تويل » بناحية «العجمى» وذلك قبيل الحرب العالمية الاولى ، وقبل ان يرتحل الى باريس ليدرس فى جامعتها ، ويتزوج من زميلته الفرنسية هناك ثم يستقر بروما — وهناك على احدى رباها السبع ما برح يعيش شاعر الاسكندرية — اونجريتى — صاحب الدواوين التسعة . وكتاب فى النثر ، ومازال ينظم المبتكر من الشعر الرومانتيى، ويحب الجديد ولا يقلده ، يهيمن عليه سحر الشرق ، وذكريات النيل والصحراء والبحر .. ولما زار مسقط راسه عام ١٩٥٩ شيخا فى السبعين ، فى طريقه ليحاضر بالمركز الثقافى الايطالى بزمالك القاهرة ، كان يتحدث عن ذكريات صباه ، وعن صداقته للشاعر احمد شوقى ، واشتراكه فى مهرجان شوقى بروما واقامة تمثاله هناك ، وعن ناجى المصور السكندرى ، وعن غيرهما من الفنانين .

ويرى السائر اليوم فى «طريق الحرية» بالاسكندرية — وهو شارع كانوب « البطلمى بالامس — رافدا متواضعا يخرج من ذلك النهج الكبير ، على مقربة من حى « كوم الديماس » او « كوم الدكة » ، يسمى «شارع ليبسيوس» ويتوسطه بيت قديم عليه رقم(٤) وعلى بابه لوحة من الرخام كتب عليها بالعربية وباليونانية هذه العبارة ، « فى هذا المنزل قضى الخمس والعشرين سنة الأخيرة من حياته : الشاعر الاسكندرى قسطنطين كفافى ١٨٦٣ — ١٩٣٣ » .

وهكذا مر على مولد الشاعر السكندرى الكبير كفافى مائة عام ، وعلى وفاته ثلاثون ، فانه ولد بالاسكندرية فى ١٧ من ابريل سنة ١٨٦٣ ، وتوفى بها فى ٢٩ من ابريل ١٩٣٣ ، ولم يزل قبره فى مدافن الشاطبى هناك — ولهذا احتفل بعض الاوساط الادبية بمصر والخارج بهذه الذكرى المئوية والثلاثينية هذا العام .

وكان ديوانه قد طبع بالاسكندرية عام ١٩٣٥ متضمنا مئة وتسعين قصيدة ومقطوعة فى لغتها الاصلية — اى اليونانية الحديثة — ثم ترجم الى الايطالية عام ١٩٥٧ ، والى الفرنسية عام ١٩٥٨ ، والى الانجليزية فى طبعتين مختلفتين نشرت احدثهما منذ عامين .

وكان كفافى سكندرى المولد والنشأة والطابع ، يونانى الابوين ، عالمى الفكر ، غير انه ظل متشبثا بمسقط راسه لايعرف غيره ولا يحب أن يبرحه .. وكان يحب مصر واهلها بقدر ما يحب الاسكندرية .. وله قصيدة سماها « مصر الحلوة » ، وقصائد مستلهمة من الاسكندرية القديمة والحديثة ، وعاصر ضرب الاسطول الانجليزى لمدينته ورأى فى ذلك ضربا من البربرية ..

وكان أبوه « بترو كفافيس » تاجراً ميسوراً ، استوطن الاسكندرية عام ١٨٤٥ ثم تزوج احدى بنات القسطنطينية ، وانجب منها تسعة اطفال ، اصغرهم شاعرنا هذا . فكان موضعا لتدليل امه وحبها ، متعلقا بها طيلة حياته .. فلما ان توفى الأب عام ١٨٧٠ بعد أن تدهورت حاله المالية ، وترك الارملة الشابة مسئولة عن اولادها ، وشاعرنا طفل فى السابعة ، اضطرت الام الى الانتقال بأطفالها الى حيثمقيم بانجلترا شقيق زوجها ، تاجر المنسوجات .. وهناك فيما بين ليفربول ولندن ، اتقن الشاعر الصبي اللغة الانجليزية على أساتذة بالمنزل ، وقرأ الكثير من ادبها ، وما ترجم اليها من آداب الامم حتى عاد مع امه الى مسقط رأسه عام ١٨٧٩ وكان قد بلغ السادسة عشرة .

وعاد الشاعر الناشيء يعيش فى كنف البحر ، ويطوف بطرقات المدينة العجوز ، باحثا حوله عن عصرها الذهبى وماضيها السحيق .. ولم يدر أن جوها الساكن ، وبحرها الغاضب ينذران باقتراب العاصفة الهوجاء ، والحريق المدمر ، والغزو الغادر وها هى الأم الارمل تعود عام ١٨٨١ فتحمل اولادها عبر البحر الى بيت أبيها فى استنبول ، وكانت لم تره ولم يرها منذ سنين .. ويجد شاعرنا الصغير نفسه فىعاصمة البيزنطيين القديمة ، ويعودالتاريخ ليعبث بخياله .. وهو هنك فى رعاية جده الثرى لا عمل له غير الطواف بدور الكتب ، واماكن الآثار ، والملاهى .. وتخشي الام على ولدها من تيارات تلك المدينة الكبرى ، وتعود الى بيتها بالاسكندرية عام ١٨٨٥ ، وتظل على رعايتها له حتى وفاتها عام ١٨٩٩ .

وكان على الشاعر عندما عاد الى الاسكندرية شابا فى الثانية والعشرين ، أن يجد عملا يرتزق منه فاشتغل مترجما عن الانجليزية التى يجيدها فى تفتيش الرى قسم ثالث » ، ثم فى مصالح اخرى ، حتى عام ١٩٢٢ فاعتزل الوظائف وعاش بقية حياته معتكفا فىتلك الشقة بشارع ليبسيوس ، ينظم الشعر ويقرأ الكتب .

غير أن كفافى ــ الشاعر العزب المنطوى على نفسه ــ كان يشعر انه فى هذه المدينة العظمى المحتلة ــ اسيرة ملاكها وغزاتها ، أشبه بالطائر الحبيس فى القفص ــ فهو ايضا اسير الحاجة ، اسير الضجر ، اسير الرغبات الجسدية والندم ، فيصور نفسه ومدينته يومذاك فى قصيدة بعنوان « المدينة » .

«تقول لنفسك» سوف أذهب الى أرض أخرى ــ الى بحر آخر ..

الى مدينة اجمل من هذه بكثير ..

ــ قد توجد او يرجى أن تكون ..

فها هنا كل خطوة تزيد العقدة احكاما ..

والقلب مدفون فى جسد مستهلك ..

.. الى ان يقول :

ــ ما من ارض جديدة يا صديقى .. ما من بحر جديد ..

فالمدينة سوف تتبعك !

ولسوف تطوف دون غاية بالشوارع ذاتها ..

وفى الاحياء نفسها ، تنحدر من الشباب الى الشيخوخة .

وفى البيت نفسه تشيب فى النهاية ..
واخيرا يقول :

ــ انك ما دمت قد حطمت حياتك فى هذه البقعة من الارض ، فقد حطمتها بالمثل فى كل مكان على الارض قاطبة !

ويعيش بيننا الآن فى الاسكندرية شاعر يونانى قبرصي فى السادسة والستين من العمر يوقع قصائده ودواينه ومقالاته باسم : غلافكوس البترسيس ..

ولد فى ليماسول بقبرص فى ٧ يناير عام ١٨٩٧ ، واتم تعليمه الثانوى بأثينا عام ١٩١٥ كما تخرج فى كلية الحقوق بها عام ١٩١٩ . ثم جاء الىالاسكندرية ليعلم فى مدارسها التربية الرياضية ، وما زال يطلق عليه هنا لقب « المعلم » .. وبدأ منذ عام ١٩١٩ ينشر شعره فى الصحفويطبع دواوينه .. ففى عام ١٩١٩ نشر « الخواتيم الزرق » وفى عام ١٩٢٠ طبع « ورد البحر » .. وفى عام ١٩٣٧ « برج بابل » «وعام ١٩٣٩ » اروذا فينوسا وفى ١٩٤٤ « خميس العهد » .. وشعره متنوع الاغراض والموضوعات .

ويزامله اليوم الشاعر الشيخ المعاصر «جورج بريستيزاكيس» وقد ظهرت معظم دواوينه اليونانية والفرنسية في اعقاب الحرب العالمية الأولى .. ومن اليونانية «اغانى الفلاح» و«الثورة الفردية» ومن الثانية الفرنسية : «صيحات متوحد» ١٩١٩ و «رباعيات الحياة» ١٩٢٠ .. ويجمع شعره بين العاطفة والفلسفة ، وتضمه نحو عشرة دواوين ، كما ان له اكثر من خمسة مؤلفات فرنسية نثرية ذات افكار فلسفية ونفسانية ..

وثمت شاعران مجيدان ينظمان باليونانية شعرا رقيقا ، احدهما : «نيقولا فيلاس» صاحب ديوان «من اعماق الليل» صدر عام ١٩٣٩ ، والآخر «قسطنطين قسطنطينيدس» وقد نيف اليوم على السبعين ، وله مؤلفات نثرية ودواوين ..

وبين الشعراء السكندريين اليونانيين الذين نظموا شعرهم باللغة الفرنسية يشمخ اثنان ، الاول والاسبق عهدا هو «الك سكوفى» الذى ولد بالاسكندرية عام ١٨٨٦ وتوفى بها عام ١٩٣٢ . وكان قد كرس حياته لفن الغناء والمسرح ، ودرسه في ايطاليا ، وغنى مع كاروزو في اوبرا «ريجوليتو» بمدينة موناكو ، غير ان الشعر عاد فاستهواه فراح ينظم بالفرنسية كما فعل جان موريا ، وينشر شعره في «المجلة الأسبوعية المصرية» بالقاهرة ومجلة «عطارد» بباريس . وظهرت مجموعته الشعرية الأولى عام ١٩٠٩ والثانية عام ٢٤ والثالثة عام ٢٩ والرابعة عام ١٩٣٢ ، واعتاد ان يطبع تلك الدواوين الفرنسية بباريس ، كما نشر بها عام ١٩٣٢ رواية باسم «مركب ومرساة» ترجمت الى بعض اللغات ، واستهوته الحياة الباريسية فعاش بتلك المدينة في بيت على شكل هيكل بيزنطى ومات هناك عام ١٩٣٢ .

واما الشاعر الآخر الذى نظم بالفرنسية فهو «الوا تروفير» واسمه الحقيقى «جان خريستوفولو» وكان قد ولد بالزقازيق وتركها الى الاسكندرية صبيا في العاشرة ، حيث تعلم في مدارسها ، واتخذها موطنا ولم يبرحها بعد ذلك ، وكان شعره الباكر فجا ولكنه اصبح متحررا متدفقا كما نرى في قصيدته «نهر صباى» عام ١٩٢٥ والقصائد التى نشرها عام ١٩٤٢ .

وفي قصيدة : «نهر صباى» هذه يقول : —

«نهر صباى ! ايها النيل الصامت .

او تذكر يوم وقعت من اعالى «زحل» فحملونى اليك كى تجلى عينى وتجعل قطرات السماء تستقر على شعرى ؟

وكانت الثيران الجسيمة تخور ، والجمال تتبختر ..
والهداهد ترقص عند الماء ..
وفوق المروج كان اخوتى — الحمير الصغيرة — تقفز في خطى ثقيلة ، فرحة بالأرض ..
وقرب شاطئك ، شببت احلم في تطلعى الى المراكب وهي تحرك موجاتك الراقصة ..
ومن بين احضانك كانت البدويات البيض يملأن جرارهن من مائك النمير ..
وانسان صغير ، شاعر ، مولود منذ عهد قريب .. يحس بألف نغمة تملأ وجوده ..
لطالما خلت تيارك الهادىء يخفى كنوزا عن عيون الصغار ..
وان هناك حلوى .. وهناك تصورا .. وهناك عروس البحر البيضاء — تخرج من الماء ..
وقرب مجراك عرفت السعادة كما عرفت الموت — راضيا منتظرا ..

ولكن في يوم بغيض — يوم حزين من ايام الخريف ..
وكان الفلاحون ينشدون اغنية حزينة ..
حملونى بعيدا الى مدينة معربدة ..
وحاولوا حملى على نسيانك .
ولكنى يانيلى اخفيت خرير موجاتك في اذنى
كيما استمتع بها في سهرتى وحدى !

نيقولا يوسف

الدكتور عبد الوهاب عزام

بقلم : عبد المنعم خلاف

سلام على الطلعة الجليلة المهيبة الوادعة الجادة التى كانت تغمر القلوب بسيالات روحها واشعاعات محياها !

سلام على الراس الضخم الفخم الذى جمع الثقافات والديانات ولمعات البروق العليا فى الصوفيات ولمحات الخواطر المثلى فى العلوم والآداب والاسلاميات !

سلام على عبقرية الفكر والتعبير بالنظم والنثر ، خطابة وكتابة ، بداهة وروية ، فى معالى الحياة واشراف الامور وحقائق الايمان والخير والحب والحرية والقوة والجمال من غير دعوى ولا مزاعم ولا خيلاء ولا تشدق ولا متاجرة !

سلام على عبقرية الخلق العظيم الذى وعى سنن الآداب النفسية الرفيعة ، وصفوة المحامد والمكارم الانسانية ، ثم حولها فى نفسه مناهج عمل ، ورياضة طبع ، وسداد قول ، وحكمة حياة ، فلم ير الناس فيه ذلك التناقض البغيض بين حكمة القول وطيش العمل ، وعلم الدرس وجهل العيش ، بل رأوا دينه وعلمه وثقافته كالماء فى الشجرة الطيبة ، يحييها ويجرى فيها عنصرا اصيلا غاليا ، تتحول به عناصرها الاخرى لبابا حيا واغصانا مورقة ندية ، وزهرا حريريا شذيا ، وثمرا شهيا ، لا كالماء فى شجرة الحنظل ، يتحول الى بز زعاق !

سلام على من كان جليسه يتقلب فى نعيم عجيب ومتاع أخاذ من قسمات وجهه السمح ، ونفحات قلبه الرحب ، ولمحات خاطره الفياض ، ورقة صوته الحنون ، ودعابات طبعه المعتدل السليم المتفائل ، وعجائب مايورده من نوادر وطرائف واسمار فى شئون الحياة المختلفة ، مما اختزنته ذاكرته الواعية ، وواتت به بديهته المسعفة ، فكان لصحبه كروض الورد ، فى العين بهاؤه ورواؤه ، وفى الأنف عبيره ، وفى اليد حريره ، وفى النفس وحيه وتعبيره !

سلام على العربى الاصيل الفارس بقوامه الفارع العابد الراهب بحياته واغضائه وسكينته وتواضعه وسمته ووقاره وعفة لسانه وحكمة منطقه ومشيه على الأرض هونا كانما هو فى صلاة دائمة !

سلام على من جمع الله فى لسانه السنة العرب والفرس والترك والهند : اعظم امم الحضارة الاسلامية ، فكانت داره ناديهم ، وموائده قراهم ، وكان موضع ثقتهم واعزازهم وسفير بعضهم الى بعض ، وترجمان التعارف والأخوة بينهم ، كالرحم الواصلة فيهم وكالفكرة الموحدة لهم ، فى زمن اصاب المسلمين فيه داء الاقوام من النعرات القومية والوثنية الاقليمية ، والمنافرات الشعوبية والمنازعات على اشبار الأرض من وطنهم الاسلامى الواحد بعد ان كان الاسلام قد اطفأ فى قلوبهم جمرات العصبية الجاهلية ، واحيا فيها روح الوحدة الانسانية !

فكانت رسالة الفقيد العزيز هى السفارة الادبية « والدبلوماسية » لتجديد التعارف بينهم ، عن طريق تعلم بعضهم لغات بعض ، وتبادلهم ترجمة المأثور النفيس من آدابهم ، والتقريب بين مذاهبهم وآرائهم ، وتكوين الجماعات المشتركة التى تجمعهم على القرآن الكريم الذى بلغ من حرص مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوحدة حوله ان يقول فى صحيح حديثه (اقرؤا القرآن ما ائتلفتم عليه فاذا اختلفتم فقوموا عنه) !

سلام على من كانت حياته سياحة مستمرة بالروح الواعية فى عوالم الفكر ، وبالجسم الرحال فى فجاج ارض العروبة والاسلام ، يصل بينها العلاقات المقطوعة ويثبت فيها الركائز المزعزعة ، ويوقظ الغافين وينبه الغافلين ، ويعلم الراغبين ، ويأخذ لنفسه زادها من المعرفة والأخوة ، ثم يعطيه لامته دروسا ومقالات وخطبا وقصائد وترانيم وكتبا فى أدب البعث العربى للنهضة الاسلامية الحديثة !

سلام على الصوفى الصفى ، والمجدد السلفى ، والداعية الأدبى الربانى الذى تماسكت ذاته وتوازن فكره على سنة الاسلام الواضحة ومحجته البينة ، فلم تأخذه شطحات بعض الصوفيين الى المتاهات والتهويمات ، وانسلاخ القوى وتجسيم الاوهام ، بل صاحب بفكره اشدهم شرودا وغموضا واوضحهم

رايا وبيانا كالحلاج والعطار وجلال الدين الرومى والشيرازى والسعدي والجامى وعاكف واقبال وغيرهم من علية القوم اولى المعارج الصاعدة فى سموات الفكر ومقابلات العشق وسبحات الروح من غير ان يشرد به شارد منهم !

وما اظن ان افكار مفكرى الاسلام وخواطر شعرائه وكتابه قد التقت فى ذهن كما التقت فى ذهن الفقيد وبيانه .

ومن هنا كان الراى فيه انه صورة فذة فى هذا العصر على الاقل للمفكر الاديب الاسلامى ذى الثقافات الجامعية والحرة والآثار العلمية والادبية فى جوانب الفكر الاسلامى .. فلم ار مثله من صبت فى عقله روافد الآراء والمذاهب الاسلامية ،وجداول المعرفة العربية اللغوية والادبية ، والتقت فى ذهنه الصور الذهنية والوجدانية لجميع العرب والمسلمين المعاصرين والاقدمين فى خواطرهم وبوادرهم ..

ووا اسفاه ! على اننا فقدنا فيه اماما من ائمة الحفظ والرواية والتعليق والنقد والراى كان يمكن ان تكون احاديثه ومجالسه مادة سفر ضخم من كتب الامالى التى تأتى عفو الخاطر فى المجالس فى كل علم وفن ، لو اننا تنبهنا الى هذا الجانب العظيم فيه جانب الرواية والحفظ لنصوص اللغة ومفرداتها والقرآن والحديث وعلومهما والآداب العربية والفارسية والتركية والاوردية بل والانجليزية والفرنسية .. اذن لكان لنا من ذلك محصول وفير وعلم غزير بجانب مؤلفاته الكثيرة الاخرى التى جاءت بعد الاعداد والتحضير والتحرير .

لقد صحبه الله دائما بتوفيقه وحباه بالطافه فوضع شخصه الصحيح فى مكانه الصحيح ، ومضي به الى غايته شعيدا مسعدا متنقلا به فى الجامعات والجماعات والمجامع والسفارات والمؤتمرات ، حتى ناجاه باختياره الى جواره الكريم وهو فى أوج صحته وعزه فى اشرف ميدان واكرم جوار : جوار محمد ! بعدما ان اخذ من الدنيا افضل مافيها وتزود للآخرة بأحسن مايؤهل لها ..

فسلام على جثمانه الذى كتب الله له استشهاد الهجرة للعلم والتوجيه فى ارض النبوة المحمدية والأبوة العربية ، ثم جاء به مكرما ليركزه علما للطهر والفكر فى مسجده الذى يحيط به اشراق عجيب ، على تلك الربوة المباركة فى تلك البقعة الساحرة من ارض حلوان الطيبة أمام داره وتحت انظار اولاده وعشيرته ومحبيه ، ليجعله حاضرا فى عيونهم كما هو خالد فى قلوبهم ، وليعزه ميتا ويعزى أهله، وليكون مجلسه فى مسجده عامرا دائما بروحه من بعده ، كما كان فى حياته عامرا بقاصدى فضله وطالبى رفده .

لقد عرفت اسم الفقيد لأول مرة فى سنة ١٩٢٥ حين قرات تعريبه مع صديقه الراحل الأستاذ حمزة القازانى التركستانى رحمهما الله ، كتابا عن الاسلام لمؤلف تركى اسمه (جلال نورى) على ما اذكر ، ثم توجه اليه فكرى عقب تأسيس جمعية الشبان المسلمين سنة ١٩٢٧ كاصلح من يتولى سكرتاريتها العامة بما له من معرفة بلغات أكبر الشعوب الاسلامية وبآدابها واهلها .

وقد ابتدات صلتى بالفقيد تتوثق ومعرفتى بغرر صفاته وشمائله تتسع وتعمق ويسر الله من جواره بحى المنيل فى سنى الحرب الثانية ومن مخالطته فى خط حلوان ومن قراءاتى لمؤلفاته وسماعى احاديثه ومحاضراته ومن تبادل الزيارة والمودة ، ماجعلنى من مريديه ومحبيه وعارفى فضله عن كثب، وما جعل روحى تنزى ألما وحسرة من هول الفجيعة فيه ، وتتلوى من جراح انتزاعه الفجائى واختفاء شخصه الحبيب الذى كان يملأ جوانب القلب والفؤاد !

فيا ايها الاخ والأستاذ الصديق الصفى الكبير ! ما ارى اننى استطعت ان ارسم بهذه الكلمة العاجلة الصورة التى تملأ نفسي باضواء شخصيتك وظلالها ومعانى عبقريتك الفكرية والخلقية التى كنت اشرف منها على صورة باهرة من صور الاسلام والعروبة والجهاد المبرور والعلم النافع والخير العميم والانسانية الرفيعة التى رفع الله اقباسها المطهرة المشبئة فى معشر اقاموا حياتهم وبيوتهم على دعائم ثابتة من الدين والعلم والمروءة والبر والاعتزاز بمواريث حضارة الاسلام النفسية التى ، وا اسفاه! تختفى معالمها من حياتنا وتغمرنا بعدها ظلمات وفتن تجلبها الينا قرود ممسوخة وببغاوات تثرثر من غير وعى وتردد آراء ونظما عن امم شقية اكلتها مادية الأرض واستغرقتها حضارة الآلة بقسوتها وشهواتها

وضيقها ، واخذتها ضلالات الحياة بعيدا عن سبيل الله !

ولكن من عزائنا فيك ايها الاخ الحبيب والاستاذ الصديق انك رصدت لمقاومة هذا البلاء النازل بالمسلمين من « القردية » « والببغاوية » مؤلفاتك ودواوينك ومسجدك ، خطوط دفاع واعلام هدى على طريق المسلمين والعرب يحتمون فيها ويهتدون بها فى معركتهم لضرب الشر بالخير ودفع الباطل بالحق وبناء العقول والقلوب للحياة الرشيدة فى الدنيا والسعيدة فى الاخرى ، كما كنت تنصب نفسك وأخلاقك وشمائلك الغراء قدوة واسوة

اجل هذا هو سبيل العزاء عن المصاب الجلل فى فى حياتك !

نفتدك المفاجىء الذى احدث فراغا هائلا فى دنيا المسلمين والعرب عامة ودنيا أهلك وتلاميذك ومحبيك خاصة ..

فرضي الله عنك وقدس سرك وروح روحك فى الرفيق الاعلى !

وسلام الله لنا سلاما يكون بردا وسكينة ورضا بقضائه فيك

واختتم هذه الكلمة بالايات التى تلوتها فى آخر زياراتك لى قبيل سفرك الاخير الى السعودية وانت تحدثنى عن كتابك الذى بدات تأليفه عن الاسلام وتوجه فكرى الى ما فى تلك الآيات من روعة الحق والهدى وبلاغة التعبير ويسره . ولا يزال رنين صوتك الحنون فى اذنى وانت تتلو « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم . للذين احسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون » الى آخر ذلك السياق من سورة يونس. لبشرى بمقامك فى دار السلام ان شاء الله .

وانها لدعوة الى دار السلام لبيتها سريعا !

وانها لحساسية من شفافية روحك الملهم اوانها لبشرى بمقامك فى دار السلام ان شاء الله .

عبد المنعم خلاف

الخصائص الفنية للأدب الصوفى

بقلم : عبد الكريم الخطيب

تحدثنا من قبل عن بعض الظروف والملابسات التى عزلت الادب الصوفى عن الحياة ، وجعلت منه أدب متاحف .. يلم به الدارسون الماما ، كلما بدا لهم أن يكشفوا من التصوف وجها يعرضونه على الناس ، فى مجال التشهير به والزراية عليه ، أو فى مقام التنويه به ، والحمد له .. الامر الذى أصبح به أشبه بتلك الشواهد التى توضع على القبور .. ينظر فيها الناظر ، فلايرى وراءها الا ترابا ، ووحشة وفناء !

وقد قلنا : ان هذا الادب قد دخل عليه ضيم كبير بسبب هذا الوضع الذى صار اليه ، كما أن هذا الوضع قد أضربالادب العربى كله ، اذ عزل عنه رافدا من اغزر روافده ، وأصفاها ، وأكثرها مادة ، وأقواها عاطفة !

قلنا هذا ، أو نحوه

وبقى بعد ذلك : أن ننظر فى الخطة التى تختطها لمعالجة هذا الانحراف فى النظرة التى ينظر بها الى هذا الادب ، وفى الغايات التى يدرس لها ، وفى الموازين التى يوزن بها .

ولعل أول ما يبدو لنا من ملامح هذه الخطة امران:

اولهما : ضرورة التفرقة بين نوعين من الادب الصوفى ..

فهناك ذلك الادب الذى يتساقط من فم الصوفى فى أول الطريق ، وعلى الخطوات الاولى فى عالم التصوف ، وهذا الادب ـ كما أشرنا اليه من قبل ـ يغلب عليه العنصر الشعرى ، ويكثر فيه الخلط ، والشطح ، وتشيع فى أوصاله رعشة المتصوف ، وبلبلته ، وتلجلجه !

وهناك أيضا ذلك الادب الذى يجىء من المتصوف بعد أن تذهب رغوة غليانه ، ويسكن فوران نفسه ، وجيشان عواطفه .. وهذا الادب يغلب عليه الاتزان والمنطق فى معانيه ، كما يغلب عليه القصد والايجاز

فى ألفاظه ، فيخرج مخرج الحكمة والمثل ، مع شىء من الغموض والرمز ، الذى لا يخلو منه أدب صوفى ، سواء ما كان منه شعرا أو نثرا ٠

هذا عن الامر الاول من ملامح الخطة ٠٠

وأما الامر الثانى ، فهو ما ينبغى من ضرورة التفرقة - أيضا - بين حالين من أحوال المتصوف ٠٠ حاله قبل أن يدخل هذه التجربة ، ويعانى أحوالها ٠٠ وحاله بعد أن يصبح فى المتصوفة ، ويلبس رداء التصوف ، ويعيش فيه بوجوده كله ، وبعقله وقلبه جميعا ٠!

ذلك أنه اذ كان الادب - فى حقيقته - تصويرا ناطقا لما يقع فى مرصد النفس الانسانية من خواطر ، وتصورات وأفكار ، واذ كانت تلك الخواطر وهذه التصورات والافكار خاطئة فى وجودها ، وفى قوتها وضعفها ، وفى استقامتها وانحرافها ، لظروف الانسان وأ... التى يتقلب عليها أو تتقلب عليه - اذا كان ... كذلك فان أدب المتصوف وهو فى هذه التجربة غيره وهو بعيد عنها ، حيث يحيا حياته مع الناس ، ويتقلب فيما يتقلبون فيه ٠

وانه لمن الانحرافات الحادة المؤدية الى الخطأ فى دراسة الادب الصوفى أن ينظر اليه على امتداد واحد ، فى حياة تناوحت عليها أنماط مختلفة من المواقف والتجارب ، التى تتغير بها مشاعر الانسان وعواطفه ، وأفكاره ، ونوازعه ، وسلوكه ، حتى ليبلغ الامر فى أحيان كثيرة حد التناقض والتضاد ، بين هذه الاحوال التى يتقلب فيها الانسان ، وحتى لينكر أوله آخره ، ويرجم بعضه بعضا ٠٠

والتجربة الصوفية نقلة كبيرة يتحول بها الانسان من عالم الى عالم ، وينتقل بها من وجود الى وجود ، وهيهات أن يكون فى الحياة موقف يتحول بالانسان هذا التحول ، وينتقل بكيانه كله من وجود الى وجود مثل ما تفعل التجربة الصوفية فى صاحبها ، اذا هو صدقها النية ، وأوفى لها بالعهد ٠

ولك أن تتصور - مثلا - عمر بن أبى ربيعة ، أو أبا نواس ، أو بشارا ، أو مطيع بن اياس ، أو حماد عجرد ، أو غيرهم من شعراء الغزل الماجن ، وأرباب الخلاعة والتهتك - لك أن تتصور أيا من هؤلاء وقد أصبح فى المتصوفة ، وقد صحبه الشعر فى وجوده الجديد - أكنت ترى من الممكن الجمع بين شعر الشاعر منهم أولا ، وبين شعره ثانيا ، ثم لا يكون بين هذين الشعرين من اختلاف أشبه بالاختلاف الذى بين شاعر وشاعر ؟ ان يكن ذلك ممكنا فانه لا يكون الا اذا كان الرجل غير جاد فى تجربته الصوفية تلك ، وأنه قد دخلها باسمه وجسمه ، ولم يخلطها بشىء من روحه ووجدانه ٠٠!

ومالنا نذهب بعيدا ٠؟

وهذا « أبو العتاهية » - مثلا - وقد عرفته الحياة فى مراحل شبابه : واحدا من أولئك « النواسيين » الذين استبد بهم التهتك والمجون ، ثم زهد فى هذا اللون من الحياة ، وتحول الى الزهد والعبادة ٠٠ وكان فى كلتا حياتيه شاعرا ٠٠ وكان شعره : ترجمانا صادقا لاول حياته وآخرها ٠٠ فللحياة الاولى شعرها ، وللحياة الثانية شعرها ٠ وبين الشعرين من تضاد واختلاف ما بين الحياتين من تباعد وتناقض!

دخل « **على بن الجهم** » الشاعر العباسى يمدح الخليفة ، فلقيه بهذا البيت :

أنت كالكلب فى حفاظك للـ
ـــود وكالتيس فى قراع الخطوب

فأنكر عليه بعض من فى المجلس هذا القول فى خليفة المسلمين ، وحق لهم أن ينكروا - كما ترى - ولكن الخليفة التمس للشاعر العذر ، اذ كان وافدا عليه من البادية ، أعرابيا جلفا جافيا ، ولم يكن فيما رأى شيئا يضربه للوفاء مثلا غير الكلب ، كما لم يجد غير التيس مثلا مضروبا للقوة ومصادمة الاحداث ٠

ثم ان الخليفة أجرى على شاعره رزقا يضمن له الحياة الطيبة فى بغداد ٠٠ وتنفس الشاعر أنفاس المدنية والحضارة فى عاصمة الخلافة ، وانسكبت تلك الانفاس الندية العطرة فى كيانه ٠ فصفت نفسه ، ورقت طباعه ، ودق حسه ، ولانت ألفاظه ، واستأنست معانيه وأخيلته ٠٠ ثم ما لبث أن وقف بين يدى الخليفة يمدحه بمثل قصيدته التى مطلعها:

عيـــون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

وأنت ترى فرق ما بين الكلامين ، وهو يعادل تماما الفرق بين الحالين اللذين تقلب فيهما الشاعر بين البادية والحاضرة ٠

فاذا كان هذا هو شأن الانتقال الحسى ، وتلك هى

آثاره في وجود الانسان النفسي والروحي والعقلي، فكيف بما يفعل الانتقال الروحي ، وما يقع منه من آثار في تصورات الانسان ، وفي آرائه وأخيلته ؟

والحق أن أية حركة يتحركها الانسان نحو الجانب الروحي – مهما صغرت – يكون لها أصداء بعيدة الامداء ، عميقة الاغوار في مجريات حياته كلها ، ظاهرها وباطنها جميعا بما لا يمكن أن يقاس بها ما يقع في الحياة المادية من انتقالات وتحولات ، مهما اتسع محيطها ، وامتد طولها وعرضها !

وانظر كيف يدرس الادب الصوفي ؟ وكيف يجمع الدارسون بين أخلاطه ؟ وكيف يخلطون بين بعيده وقريبه ، ويسوون بين المتناقضات من صوره ؟

فالصوفي محسوب على التصوف في جميع أطوار حياته ، سواء منها ما كان بعيدا عن حياة المتصوفة او كان متلبسا بها ·· هكذا ينظر الناظرون الى كل من عرف بالتصوف ·· انهم يحسبون حياته كلها بهذا الحساب ، ويضيفون أعماله وأقواله كلها اليه في حساب التصوف ، من مولده الى مماته ، ولو كان قبل أن يدخل التصوف فاتكا او ماجنا !! وطبيعي أن ذلك يؤدي حتما الى الخطأ في جميع الاحكام التي تصدر على هذا الانسان ، وخاصة ما يتصل بآرائه ومقولاته ، اذا كان ذلك خارجا عن مراعاة المبدأ القائل : « لكل مقام مقال » حين يسوي بين مختلف المقامات ، وجعلها بمنزلة المقام الواحد،ومن أجل ذلك ظهر التناقض بين مقولات الشخص الواحد ، ولم يكن لهذا التناقض من شفيع يجيء من الاعتراف بوجود المقامات المختلفة !·

واقرب شاهد هنا لهذه الحال هو «ابن الفارض» الصوفي والشاعر المعروف ··

فهذا ديوانه يجمع بين دفتيه جميع ما أثر عنه من شعر ··

وهذا الشعر أخلاط مختلفة ، وأنماط متباينة·· لانه نتاج حياة اختلفت بها السبل ، وتحولت بها الاحوال ··

فالمعروف عن ابن الفارض أنه لم يولد « صوفيا » وانما ولد كما يولد الناس ، وعاش فيما يعيش فيه الناس ، في عصره ، وتقلب معهم في جدهم وهزلهم، وفي استقامتهم وانحرافهم ·· وكان لهذه الفترة من حياة ابن الفارض شعر يمثلها على نحو ما ·· ثم انتقل الشاعر الى حياة الصوفية ، وقطع فيها أشواطا بعيدة حتى وافاه أجله ، وهو على الطريق ·· وكان للشاعر طوال هذه الفترة شعر يمثل حياته تلك على نحو ما أيضا ·· وهذا الشعر ليس على حال سواء ·· فما كان منه على أول الطريق غيره بعد أن سلك الشاعر مسالك ودروبا في هذا الطريق ··

ولكن مع ذلك فقد نظر الى شعر ابن الفارض كله على أنه شعر « صوفي » ، وأن الرجل لم يكن له قبل التصوف لسان شاعر يعبر به عن نبضات قلبه ، وخلجات صدره ··

ومن هنا كانت تلك الاحكام الباطلة التي انتزعت « جيشانها » انتزاعا من شعر لم تتلبس به خالجة من صدر المتصوف ، ولم تعلق به نفثة من نفثات روحه ، ثم رمي بهذه الاحكام في وجه الصوفية والمتصوف ·· وكان أن قيل فيما قيل : ان أدب المتصوفة مع الله أدب وقاح ، فيه جراة واستخفاف بجلال الله سبحانه ، حين يخاطبونه – سبحانه – بهذا اللون من الغزل المجسد في صور خليعة متهتكة حتى لكأن اله الصوفي فتاة في مرقص ، تتداولها الأيدي ، وترعى جسدها العيون !·

والحق من وراء هذا كله ··

فلو أن الناظر في الادب الصوفي أخذ بواقع الحياة عند المتصوف،ففرق بين حياته قبل التصوف وبعدها ، ثم وزن أدب كل فترة بما يلائم طبيعتها ، فجعل شعر التصوف للتصوف ، وشعر الحياة للحياة – لو أنه فعل ذلك لسقطت كثير من هذه الاحكام الباطلة التي أدين بها الادب الصوفي ، في أكثر من وجه !

ونظرة في ديوان ابن الفارض يمكن أن تتبين بها في وضوح ثلاثة أنماط من شعره تمثل ثلاث مراحل من حياته ··

فهناك شعر شاعر يهيم في كل واد ، ويخوض في كل شان ·· وهذا ما كان للشاعر قبل أن يدخل في تجربته الصوفية ··

وهناك شعر شاعر وضع قدميه على أول طريق الحياة الجديدة في عالم التصوف ·· فيه اضطراب، وقلق ، ولهفة ، ودخان أشبه بالدخان الذي يسبق عملية الاحتراق !

ثم هناك الشعر الذى قاله الشاعر بعد أن قطع المراحل الاولى فى طريق التصوف ، وبعد أن أنس الى حياته الجديدة ، وعرف كثيرا من وجوهها ..

ولا نريد هنا أن نقف عند كل حالة من هذه الاحوال مع « ابن الفارض » ، اذ ليس همنا دراسة شاعر صوفى بعينه ؛ وانما نظرتنا متجهة الى الادب الصوفى كله ، لنرى ملامح وشواهد منه ، لا أن نستقصيه ، ونتفحصه ، قصيدة قصيدة ، وشاعرا شاعرا !!

وحسبنا أن نقرر أن « ابن الفارض » ـ وذلك شأن كل صوفى غيره ـ لم يكن فيما صدر عنه من شعر الا واحدا ، من أولئك الشعراء الذين تتبدل بهم حياتهم الروحية أو النفسية فيتبعهم شعرهم حيث كانوا ، ويكون شعرهم فى كل حالة محسوبا بحسابها ، ومقدرا بقدرها .

استمع الى قول ابن الفارض :

ما أطيب ما بتنا معا فى برد
اذ لاصق خده اعتناقا خدى
حتى رشحت من عرق وجنته
لا زال تصيبى منه ماء الورد

أترى هذا القول يصح أن يكون ترنيمة من ترنيمات الحب لله سبحانه ؟ وهل يليق بعاقل أو بعض عاقل ان يصف الله ـ سبحانه ـ بهذه الاوصاف ، التى تنزل بالخالق الى هذا المستوى ، وتجعل منه كائنا بشريا ، يعانق ، ويلف فى برد ، ويرشح عرقا صبيا !

ولم لا يكون هذا غزلا حقيقيا تغزل به ابن الفارض ، وذكر به أحوالا من أحواله مع من يحب من البشر ، ومن بنات البشر ؟ سواء كان ذلك عن واقع أو عن خيال !

وهل ارتفع ابن الفارض عن أن يتغزل كما يتغزل الشعراء ؟ وأن يحب كما يحب الناس ، حتى وهو فى سلاح المتصوفة ؟ فكيف قبل أن ينزل الى هذا الميدان ، ويخوض ذلك المعترك ؟

واستمع الى قوله أيضا :

أهوى رشأ كل الأسى لى بعثا
مذ عاينته تصبرى ما لبثا
ناديت وقد فكرت فى خلقته :
سبحانك ، ما خلقت هذا عبثا

أهناك أصرح من هذا القول دلالة على أن الشاعر انما يتغزل فى مخلوق من مخلوقات الله ، وأنه يهيم به ، ويبهر بحسنه ، فلا يملك الا أن يهتف بجلال الحق وعظيم قدرته : « سبحانك ! ما خلقت هذا عبثا » ناظر فى ذلك الى قوله تعالى : « ربنا ماخلقت هذا باطلا » . ومن هذا الباب أيضا مواقف كثيرة يقف فيها ابن الفارض حالفا بالله ، أو مستعينا به .. كقوله :

أهواه مهفهفا ثقيل الردف
كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما أحسن واو صدغه حين بدت
يا رب عسى تكون واو العطف

وكقوله وقد خلط بين العامية والفصحى :

ما بال وقارى فيك أصبح طيش
والله لقد عزمت من صبرى جيش
بالله متى يكون ذا الوصل متى
يا عيش محب تصليه يا عيش ؟

وبعيد غاية البعد أن يتجه انسان ـ أى انسان ـ الى الله ، ثم يطوف بخاطره شىء من تلك الصور المعربدة ، أو يشرد به الخيال الى هذه المراعى البهيمية النهمة !

أفيراد للصوفى اذن ـ وهو فى حال الوجود أو الشهود ـ : أن يتحول الى بهيمة قد استبدت بها الحيوانية ، ثم لا يوقف به عند هذا الحد فيأخذ الهه معه ، ويقرنهما معا فى قرن .. يصخبان ويعربدان ، ويتناطحان ؟

واذا كان فى مجال التعسف والمماحكة متسع لادخال مثل هذا الشعر فى الادب الصوفى ، واذا كانت مذاهب المهاترة لا تضيق بالمهاترين أن يقولوا فى مثل هذا اللون من الشعر قولا يجعلون فيه هذه المقولات هى الوجه البارز فى الادب الصوفى ، والنغم الحلو المردد على أفواه الصوفية ، وفى مجامع أذكارهم ـ فكيف يجد هؤلاء المهاترون المتعنتون مذهبا للرأى فى مثل قول ابن الفارض هذا الذى يقول فيه :

خبرونى عن اسم شىء شهى
اسمه ظل فى الفواكه سائر
نصفه طائر ، وان صحفوا ما
غادروا من حروفه فهو طائر

عبد الكريم الخطيب

مؤتمر القمة العربى

بقلم : حسن جاد حسن

اهاب بهم الى الجلى فهبوا ... فتى متوقد العزمات ندب
هم العرب الأباة ، اذا استثيروا ... اثاروا كل شعواء وشبوا
حمائم فى السلام ، اسود حرب ... اذا حميت غداة الضيم حرب
واتسام الربيع اذا اطمأنوا ... اعاصير اذا ما ناب خطب
نماهم فى الحياة طهر ارض ... على اقداسها درجوا وشبوا
وارضعهم اباء الذل مجد ... تشع بنوره صحف وكتب
تساموا فوق كل هوى الى ما ... يجل من الوئام ويستحب
وجد الجد فالتاموا جراحا ... مجابهة الخطوب لهن طب
تلاقوا فى الملمة بعد صدع ... ورب ملمة للصدع راب

* * *

سلاما ايها الاقطاب فامضوا ... الى امل اليه الشرق يصبو
هو الاقدام يفرى كل صعب ... فما استعصي على الاقدام صعب
وفلوا بالعزائم كل عضب ... فليس يفل للعزمات عضب
وسيروا نحو غايتكم ، وانتم ... يد فى الخطب واحدة وقلب
لقد دعت العروبة فاستجيبوا ... وناداكم اباء الضيم فلبوا
وضجت فى فلسطين جراح ... بفاغرها دم ينصب ، رطب
انين ما يزال للاجئيها ... يمض ، ونار ثار ليس تخبو
وما هى للعروبة غير قلب ... رماه من فلول الغدر خب
جرى بالطهر ماء النهر فيها ... فكيف يعيث فى مجراه ذئب ؟
وكيف يرنق المكروب منه ... مشارع ماؤها الدفاق عذب ؟
مياه اليعربى لكم بارض ... منابعه عليها .. والمصب
خذوا - صفا - على يد غاصبيه ... ولا تدعوا عقاربهم تدب
ونضوا ناب اسرائل وافضوا ... على الأفعى التى فى الشرق تحبو
اتنهض دولة فى ظل ملك ... دعائمه مخاتلة ونهب ؟
وكيف يروم ارضكمو بغاث ... وانتم من يوازى الشرق غلب ؟
فلول عن رحاب الأرض زيدوا ... فآواهم بها غصب وسلب
التطلب العروبة اشعلوها ... على صهيون نيرانا تشب

* * *

وخلوا النادبات من التوانى ... فليس يرد حقا ضاع ندب
وخطوا فى ائتماركمو مصيرا ... تطلع نحوه شرق وغرب
ففى اعناقكم دين كبير ... يطالبكم به رب وشعب
رعى الله اجتماعكم المرجى ... ووطد شملكم ود وحب

حسن جاد حسن

الشوق إلى يافا ...

للشاعر عبده بدوى

قد طال شوقى للطيور الراجعات الى الشمال
لمواكب الاحرار تزحف .. ثم تزحف فى نضال
لصبية لم يتعقد فى ثغرها كرد التلال
فانامل الرسام فى الهدب المصفق لا تزال
واصابع النحات ما زالت تغرد فى ابتهال
.. اترى على صدرى تثرثر بالاناشيد الطوال
وتقول « ما وطنى ؟ » فاهتف « انه سرى الخيال
هو هذه العزمات تورق فى الحقول وفى الرجال
هو فى السفوح الاغنيات ، وفى الروابى البرتقال ! »

* * *

فى ظل « يافا » كان لى بيت يخبئه الشجر
قد وقعته يد الجمال ، وطرزته يد السحر
.. قفزت به ايامى الخضراء قرب المنحدر
جدرانه كانت مطرزة باقدام الزهر
وعلى نوافذه ستائر من اغاريد السحر
.. اترى سيوقظنى به سرب الطيور ! اذا عبر ؟
اترى يكون القمح فى قمصانه الخضر اظهر ؟
.. واحر قلبى للنسيم يهز فى القلب الذكر !

* * *

اعود للصبح المزقزق فى جفون المزرعة
واغادر القمح الخجول مع الطيور المسرعه
وانام فى حقل رضيع تحت هدب طيعه
.. يجرى به طفلى الصغير ويشتهى ان اتبعه
فاذا رنا نحو الديار ، وود أن أعدو معه
سابقته وعليه اشواقى الحرار مجمعه
فندق بابا زاهيا ، ويرد صوت فى دعه
واذا بنا فى فرحة ، فى ضحكة مستقطعه
فى عالم يمشى السلام على رباه المسرعه
سأعود للأرض الجريحة فى صباح مضرم
بالشعب .. بالشعب الذى لم ينكسر .. لم يهزم
.. فاعيد ارضى للظلال ، وللطيور الحوم
لسنابل خضراء تجرى فى الحقول وترتمى
للمسجد الاقصى الذى قد كان قبلة مسلم
.. للبعث فى اطفالنا ، ولالف جيل مقدم !

شعر المهرجان ليس حجة على ناقدى العصر الحديث

بقلم : عبد الحى دياب

تساءلت عقب الانتهاء من مهرجان الشعر الخامس ونحن في الاسكندرية عن مدى تقدم فن الشعر بعد قيام حركة مدرسة الديوان ، التى يعد العقاد اماماً لها ، وهو الآن مقرر لجنة الشعر فى المجلس الأعلى للفنون والآداب .

حقيقة ما هو المدى الذى قطعناه من التقدم فى الفترة التى مضت على قيام هذه المدرسة ، التى قامت بحركة هزت جمود الشعر وضحالة الشعراء فى فهم الحيـــاة هزا عنيفا لا يتطرق اليه لين او هوادة ، وتقدم الشـــعر على اثر قيامهـــا خطوات وخطوات تجاه الشعر العالمى ..

وتباد رهنا فنقول : ان الذى اوحى الينـــا بهذا التساؤل هوما جاء فى يوميات استاذنا عباس محمود العقاد فى جريدة الأخبار بتاريخ ٢٧ نوفمبر الماضى ، حين وصف المهرجان بانه كان حجة قائمة للشعر العربى فى هذا العصر بين سائر عصوره الذاهبة ، وانها الحجة التى تحفظ للشـــعر المصرى مكانته المرعية عند المقارنة بينه وبين الشعر فى عصور اللغة العربية من ماضيها الى حاضرها ، وتدفع عنه كل ما يحتج به المحتجون عليه من ناقديه والمنتقصين لأدب هـــذا العصر وآداب العصـــور الأخرى على عمومها ..

ومعنى العقاد يقول « فقـــد القيت فى المهرجان بضع عشرة قصيدة على الأقل ترتفع فى فن الصياغة الى الذروة العليا من طبقات النظم التى ارتفع اليها القصيد العربى فى تاريخه العريق ، منذ اقدم عهود الجاهلية . وتنهض هذه الحجة على ناقدى الشعر العصرى او ناقدى الشعراء المعاصرين عند النظر الى الموضوعات التى احاطت بها قصائدهم » .

وفى اعتقادنا أن هذا القول من العقاد يعد خطيرا وعلى جانب كبير من الاهميـــة ، لانه لم يقف عند اعتراف العقاد بشعر المهرجان ، وانما جاوزه الى انه حجة على الشعر العربى فى ســـائر عصوره الزاهية ، وحجة كذلك على ناقدى الشعر العصر ، او ناقدى الشعراء المعاصرين ..

وآية الخطورة فى هذا القول من وجهة نظرنا اننا بعد دراســـاتنا لنقد العقـــاد قرابة خمس سنوات او تزيد على ذلك ، ووقوفنا على ميـــادئه وارائه النقدية فى الشعر ، ورفضـــه لشعر احمد شوقى واعتباره انه لم يصـــل الى الدرجة التى نال من اجلها هذه الشهرة ، لانه غدا لا يوائمه مدرســـة العقـــاد التى قامت لتعترف بحاجات العصـــور واصحابه فى مطلع هذا القرن ، ومن ثم كان العقاد على حق حين رفض شعر مدرسة الاسلوب التى كان يتزعمها شوقى متخذا من زعيمها وهو احمد شوقى غرضه الذى يصوب اليه رميته حينما يقول : « اعلم ايها الشاعر العظيم ، ان الشـــاعر من يشعر بجواهر الأشياء لا من يعددها ويحصى اشـــكالها والوانها ، وأن ليست مزية الشاعر ان يقول لك عن الشىء ، ماذا يشبه ، وانما مزيته أن يقول ما هو ، ويكشف عن لبابه وصلة الحياة به » .

فالشـــعر على هذا فى تصـــور العقاد ــ حقيقة الحقائق ، ولب اللباب ، والجوهر الصميم من كل ما له ظاهر فى متنـــاول الحواس والعقول ، وهو ترجمان النفس والناقل الامين عن لسانها ، ومعنى هذا أن الشعر ليس لغوا تتلقاه العقول فى ساعات الفتور والضعف ، لانه لو كان كذلك لما كان له فى حياة الناس اية قيمة ، بل على الشاعر ان يسمعنا اصداء النفس الآدمية ، فى جهدها ونجواها ، وفى شوقها وانقباضها ، وحين ترتفع فى معارج الخير ، وحين تتردى فى مهابط الشر ، ويردد لك ما تضج به من الآلام ، وما تحلم به من الآمال ، ويترجم لك الغازها وكناياتها ..

فأين شـــعر المهرجان من هـــذا الكلام ــ كلام العقاد نفســه ــ الذى لم يرض عن شعر شوقى وعن شاعريته يوما ، ودارت المعارك الطاحنة حول هذا النوع من الشعر .. وهل يوجد فى شعراء المهرجان من تمثلت فيه نظرية العقاد للشعر ، وبذلك يصبح اكبر من شـــوقى ، وفى مستوى شعراء مدرسة الديوان .. أى فى مستوى العقاد والمازنى وشكرى رحمهما الله . مع انه كان لابد أن يكون شعراء المهرجان اكبر من شوقى بخمسين عاما ، كلها ثقافة وحضارة وتقدم فى مناص الحيـــاة على اختلافهـــا . والذى يجب أن نلتفت اليه هنا هو ماتعودناه من استاذنا

العقاد من المهارة والذكاء في معالجة القضايا على سبيل التعميم ، وذلك حينما يوازن شعر المهرجان بالعصور الغابرة في الأدب العربي ، مع اعترافنا بان الشعر العربي مر بادوار منها الترفيه عن الملوك والمنادمة لهم وغير ذلك من الأدوار التي يندى لها جبين الادب العربي ومع التسليم لاستاذنا العقاد بهذه الموازنة فاننا نزعم أن من شعراء العرب من لا يستطيع شاعر من المهرجان ممن تمرسوا بصياغة الشعر نصف قرن أو يزيد أن يصل الى مرتبته .

وفي مقام التمثيل نخرج بأحمد رامي الذي وقف على معبد أبي سنبل ، وقفة المترجمين الذين اعفتهم الدولة من خدماتهم للسياح من سوء ما يصنعون بتاريخنا وآثارنا وحضارتنا التليدة الطارفة ، فقال في قصيدته :

أيها المعبد المطل على النيل منيفا على الضفاف جليلا
طالما راوحتك امواجه السمر ومدت شفاهها تقبيلا
وجرى تحت جانحيك يحييك ويرنو اليك جيلا فجيلا

أين رامي وشعره من البحتري في وقوفه على « ايوان كسرى » في سينيته منذ ألف عام حينما قال :

حلم مطبق على الشك عيني
ام أماني غيرن ظني وحدسي
وكان الايوان من عجب الصنعة
جوب في جنب أرعن جلس
يظنني من الكآبة اذ يبدو
لعيني مصبح أو ممسي
مزعجا بالفراق عن أنس الف
عز أو مرهقا بتطليق عرس

تظلم البحتري اذا وضعنا قصيدة رامي ازاء قصيدته التي قيلت في العصور الغابرة ، وتظلمك أنت حينما تضع قصيدة رامي ازاء ما قلته أنت في العصر الحديث في وقفتك أمام أبي الهول ، تحت عنوان « سر أبي الهول » :

أكرهونا على هواك وقالوا
انت يا عالم الشقاء حبيب
ان يكن فيك يا أبا الهول سر
فهذا هو الهدى الخفي العجيب

ونتساءل في هذا المقام ، أين تضع قصيدة رامي بين القصيدتين ، على شريطة ألا تظلم عباس العقاد الشاعر ، من باب المجاملة لصديقك ، وعلى شريطة الا تختصم مبادئك النقدية التي رفضت أندلسية شوقي على أساسها ..

على اننا نقول ان أستاذنا العقاد قد تجلى ذكاؤه حينما وازن بين شعر المهرجان والعصور الادبية في في اللغة العربية الغابرة ، لاننا نؤمن بأن شعر المهرجان أكبر ممن شعر هاتيك العصور وأجود ، لكننا نتساءل هنا ، هل تتفق هذه المقارنة ومذهب العقاد في النقد الذي أعلنه في كتابه « الديوان في الادب والنقد » حينما ذهب الى أن مذهبه في النقد « أن اقامته حد بين عهدين ، لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما وأقرب ما نميز به مذهبنا أن مذهب انساني مصري عربي : انساني ، لانه من ناحيته يترجم عن طبع الانسان خالصا من تقليد الصناعة المشوهة ، ولانه من ناحية أخرى ثمرة لقاح القرائح الانسانية عامة ، ومظهر الوجدان المشترك بين النفوس قاطبة ، ومصري ، لان دعاته مصريون تؤثر فيهم الحياة المصرية ، **وعربي** ، لان لغته العربية، فهو بهذه المثابة أتم نهضة أدبية ظهرت في لغة العرب منذ وجدت ، اذا لم يكن أدبنا الموروث في أعم مظاهره الا عربيا بحتا ، يدير بصره الى عصر الجاهلية » .

واذا صح أن هذا كلامك يا أستاذنا الجليل ، فلماذا توازن بمهارة بين شعر المهرجان والشعر فيما قبل مدرسة الديوان ، لقد كنا نتوقع أن توازن بين شعر المهرجان وشعراء مدرسة الديوان ، مع ادخال عامل الزمن الذي يحمل بين طياته تقدما في التفكير والثقافة وسائر ضروب الحياة .. أو على الاقل كنا نتوقع من استاذنا أن يقول لنا الى أي مدى استفاد شعراء مدرسة الديوان من نقد مدرسة الديوان ؟؟

على أنه يحسن في هذا المقام أن نسائل العقاد ليخبرنا عن عدد القصائد التي تظل على جودتها من شعر المهرجان الذي هو حجة على العصور الغابرة ، وعلى نقاد الأونة الراهنة – اذا ترجمت الى اللغات الاخرى .. لان سيادتك قد قلت في نقدك : ان الجيد في لغته جيد في غيرها ، في عام ١٩٤٧ في مجلة « الكاتب » ولسنا ندري الآن ما هو موقفك من هذا المبدأ النقدي .. الست مؤمنا به ؟ واذا صح هذا فنعود الى تساؤلنا كم قصيدة جيدة في المهرجان في لغتنا واللغات الاخرى اذا أصابتها الترجمة ..

والحقيقة التي لا تخفيها يا استاذنا الكبير أن شعر المهرجان لا يرتفع أكثره الى مستوى مدرسة الديوان ، بل لا أغالي اذا قلت الى مستوى شوقي .

عبد الحي دياب

مشكلة لم تُحل!

بقلم : محمد عبد الله السمان

ان كون القاهرة ملتقى الاضواء في المجالات الثقافية والادبية يشكل مشكلة لم تحل بعد ، ومن الخطأ أن نغض أنظارنا عن هذه المشكلة ، ومن المكابرة أن لا نبحث لها عن حلول سريعة عاجلة .

والذى يقدر له أن يطلع على السيل الجارف من الانتاج الادبى الوارد على مجلاتنا الادبية والثقافية بالقاهرة يدهشه أن يكون أكثر من تسعين في المائة من هذا الانتاج قادما من الاقاليم البعيدة عن العاصمة ، محاولا أن يناله ولو جانب طفيف من الاضواء المسلطة على الادب والثقافة عندنا . فالمشكلة اذن مشكلة المواهب الناشئة القابعة فى أقاليم الجمهورية بأسرها ، لا مشكلة المواهب الناشئة المقيمة بالقاهرة ، لان أصحابها يسهل عليهم الزحف الى الصحف والمجلات ، وييسر لهم أن يجدوا من ادبائنا المبرزين شفعاء ووسطاء لياخذ انتاجهم مكانه من الذيوع بشتى وسائل الاذاعة والنشر . **أما أبناء الاقاليم من ذوى المواهب الناشئة ، فلا يملكون من الوسائل غير البريد ، وهيهات أن يسعف البريد ـ رغباتهم المكبوتة ، أو يحقق شيئا من آمالهم الممتزجة باليأس ..**

* * *

ولا أظن ان مشكلة هؤلاء قد تحل فى غير القاهرة ، ما دامت القاهرة مركز الاشعاع الفكرى ، وما دامت وسائل الاذاعة والنشر لا تتركز الا فى القاهرة ، وما دام كبار الادباء لا يستقر بهم المقام الا فى القاهرة ، بعد ان قطعوا كل صلة تربطهم باقاليمهم وبراعمها المتفتحة .

* * *

ان أى تفكير فى ايجاد حل للمشكلة عن طريق اصدار مجلات ادبية اقليمية ، اوانشاء اندية ثقافية لرعاية المواهب الناشئة ، لا يأتى بخير ، لان اية مجلة اقليمية لا يمكنها أن تتخصص فى الادب ، ولو تخصصت لما طال بها العمر ، ونحن نرى أن معظم المجلات الادبية بالقاهرة ، لولا أن الجهات الرسمية تشد أزرها ، وتدعم كيانها ، لتعثرت عشرات المرات ، بل مئاتها ، ولوقفت العقبة المادية تعترض طريقها وتهدد حياتها ، ولأن انشاء أندية ثقافية ـ وان أشبعت هوايات الناشئة من الادباء ، فلا تحقق مطامع المواهب المثابرة المناضلة التى لاتعرف الملل ، ولاتفقد الثقة فى نفسها .

* * *

وليس معنى هذا اننا لا نرحب باصدار المجلات الادبية ، وانشاء الاندية الثقافية فى الاقاليم ، فان هذه المجلات وتلك الاندية الاقليمية أمر لا مفر منه ، والعناية بهما بتشجيعهما من المسئولين أدبيا وماديا ضرورة لتثبيت وجودهما واعلاء شأنهما ، ولكنا نقصد أنهما لا تحلان المشكلة ، وقد تكونان جزءا من الحل وليس الحل كله ، ومن الممكن أن تسهما بنصيب موفور من الحل ، لو أصبحت المجلات الاقليمية موضع عناية الصحف اليومية ، ورعاية المجلات الادبية المعروفة بالقاهرة وتوجيهها لها .

ان بعض المجلات الادبية مثلا ، قد خصصت بابا واسعا يتناول ما فى الصحف الادبية العربية فى المنطقة العربية ، وخصصت بابا واسعا آخر يتناول ما فى الصحف الادبية العالمية ، فكيف تضيق بتخصيص باب يتناول الانتاج الادبى فى مجلاتنا الاقليمية ؟

وكذلك الاندية الثقافية الاقليمية قد تسهم بنصيب موفور فى حل المشكلة ، لو أصبح لها ارتباط بأندية القاهرة الادبية ، فمكنت أدباء الاقاليم بين الحين والحين من ابراز مواهبهم ، وتقييم انتاجهم وتوجيهه .

* * *

انه ليس من الممكن ، بل وليس من المعقول ـ ونحن نعرض لهذه المشكلة المعقدة ـ **أن نتجاهل الدور الذى يمكن أن تلعبه دور النشر عندنا ، الا أن دور النشر الحرة لاسلطان عليها لأحد ، وهى ـ كما سبق ان قلت ـ تقيم الاسماء ولاتقيم المادة الادبية ،** وتؤثر أن تنشر مائة مرة لأديب لامع فى التأليف ، على أن تنشر مرة واحدة لأديب ناشىء مهما بلغت مادة انتاجه من القوة ، فهى تريد أن تحقق أرباحا ، لا أن

تخدم معرفة او ثقافة، فقد اصبحت تماما كمؤسسات الانتاج السينمائى تجرى وتلهث خلف نجم لامع ، وتسير بخطى متثاقلة عندما تفكر فى تقديم وجه جديد ، ولكنها تفضل دور النشر بتقديمها وجوها جديدة ولو كل اعوام ، هذه الدور التى تضن دائما بتقديم وجه جديد ولو كل ربع قرن من الزمان ، وقد تعجب حين تعلم ان بعض دور النشر فى القاهرة اصبح وقفا تقريبا على نشر مؤلفات أديب كبير او اديبين كبيرين ، ولا شك أنهما جديران بهذا ، ولكن حسبنا من الاثم ان يكونا سببا فى اغلاق الباب دون عشرات من المواهب الادبية الاخرى ، مما هى فى المتوسط وفوق المتوسط .

* * *

ولكن اى عذر لدور النشر شبه الرسمية ، والتى هدفها نشر الثقافة مع رعاية المواهب المخبوءة ، وهى فى الوقت التى تنشر فيه عشرات الكتب كل شهر لا تكاد تعثر على كتاب واحد لاديب مغمور ، ولعل القراء يذكرون ما نشر على صفحات البريد الادبى بالرسالة ، لاديب من دسوق يعانى المشكلة نفسها ، اذ قال : **ان دارا كبرى للنشر تتمتع برعاية الدولة ، حولت قصته الى اديب معروف فكتب عليها : « المؤلف غير معروف فى الاوساط الادبية ، ولم يسبق له تعامل مع الدار »** وقد كتب الاديب **فاروق زرقا غبريال** يعقب قائلا : « **ان الاديب المعروف المشار اليه سبق أن كتب يقول : انه مشغول بعدة أعمال فكرية فى الوقت الذى يطلب فيه أن يبدى رأيه فى عديد من القصص** » ويبقى بعد ذلك سؤال : **لم تحول الدار الكبرى الانتاج المقدم اليها الى أدباء ليس لديهم من الوقت ما يسمح لهم بتقييمه ؟ ولم قبل الاديب المعروف عملا ليس متفرغا له ؟؟**

ان القضية ترتبط ارتباطا وثيقا بضمير الدار والأديب المعروف معا ، فمن العقوق للامانة الادبية أن تقبل الدار انتاجا ولا تفحصه ، وأن يقبل الاديب عملا أدبيا ولا يؤديه على وجهه الاكمل !!.

* * *

وليس من الممكن أيضا أن تتجاهل دور المسابقات الادبية التى تعقد من حين لآخر ، وهى لاشك جديرة بان تسهم فى حل المشكلة ، وذوو المواهب من أدباء الاقاليم لا تفوتهم مناسبة دون أن يزحفوا بانتاجهم، ولكنهم يعللون عدم بروزهم فى هذه المسابقات بمزاحمة اخوانهم بالقاهرة ، فهم أقدر منهم على الصلات الودية بالمسئولين عن المسابقات ، وهذه الصلات ذات أهمية فى الموضوع ولقد رأيت بنفسى أديبا قادما من محافظة المنيا الى مجلة الرسالة ، يتأبط انتاجين له ، ليتقدم بهما الى احدى المسابقات، ولما سألته : لم لم يرسل بانتاجه عن طريق البريد ، ويوفر الوقت والنفقات ؟ أجاب بأنه عازم على الاتصال ببعض المسئولين هنا ، وهو واثق بان هذا الاتصال مما يساعد على اجازة انتاجه ، **وازاء هذا يجب أن نضع القضية فى اطار من الأمانة الأدبية التى يجب أن تتوافر فى المسئولين عن تقييم الانتاج الأدبى المقدم الى المسابقة ، ولن يكونوا جديرين بهذا الشرف الكبير ما لم يكونوا ــ على الأقل فى درجة القضاة النزهاء ..!**

بقيت كلمة يجب أن تقولها ــ ونحن نقف الى جانب ذوى المواهب الأدبية باقاليم الجمهورية فى مشكلتهم بكل احاسيسنا ومشاعرنا ــ وهذه الكلمة تتلخص فى أن بعضا من انتاجهم جدير بالاهمال الى درجة الازدراء ، هذا البعض يسارع الى الشهرة بسرعة الطائرة النفاثة ، دون أن يبذل جهدا فى تثقيف نفسه وتزويدها بالمعرفة يؤهله لمسابقة السلحفاة ..

* * *

ولكن هذا البعض يجب أن لايكون عائقا فى طريق حل المشكلة الاساسية ، وهى فتح الآفاق الواسعة امام ذوى المواهب الادبية الذين يبذلون جهدا وعرقا ودموعا ، وينتجون ما هو جدير بالتقدير من ألوان الادب ..

* * *

ان رسائلهم التى يحملها البريد الى **الرسالة** وغير الرسالة ، تفيض حنقا وغيظا ، واتهاما للقاهرة ــ لصحافتها الادبية وادبائها ــ بالانانية المستحكمة ، ونحن يجب أن نرثى لهم ، ونعطف عليهم ، فانما يدافعون ويناضلون ، ويزاحمون ويلحون ، ولا يضجرون ولا يملون ، ولا يتريثون ، ولا يتوقفون ، ولا يفكرون فى أن يتنازلوا عن ايجاد حل لمشكلتهم التى لم تحل بعد .. !!

محمد عبد الله السمان

فوانيس تأليف نعمان عاشور

بقلم : علاء الدين وحيد

تحتوى مجموعة « فوانيس » لنعمان عاشور على اثنتى عشر قصة وصورة ، ولم يعمد المؤلف فى وضع كل قسم منهما على حدة ، كما فعل يحيى حقى مثلا فى « عنتر وجوليت » .

القصة الاولى « فوانيس » . بطلها الاول رغم وجوده فى الظلال ، صبى صغير نام فى غفلة عن عينى ابيه فى جانب من دكانه الذى يضع فيه الفوانيس ، ويغلق الاب المتجر بعد منتصف الليل ويعود الى بيته ويفاجأ بغياب محمد . وتقوم مشادة عنيفة بينه وبين زوجته التى تلقى عليه مسئولية اختفاء الابن ، ويتقاطر الجيران لتهدئة الموقف بين الزوجين ، ويبلغ قسم الشرطة ويقوم « منادى » بالبحث عن الطفل . وقبل ان يقوم الاب بمحاولة ثالثة ، يصدم بكارثة أخرى . ان متجره يسرق وقد حوصر السارق بداخله . وعندما تجىء الشرطة مهاجمة ، يتضح انه الابن الغائب الذى استيقظ من نومه .

والقارىء لا يحس ان المؤلف افتعل شيئا غير حقيقى ، فعنصر الاقناع والتبرير يواكب أحداث القصة جميعا • ونعمان عاشور يهتم هنا بالموقف والشخصية معا . فهو لا يعنى — كما فى بعض قصصه الاخرى — بأحدهما على حساب الآخر .
ومن شخصياته المتكاملة فى هذه القصة ، شخصية ام احمد الزوجة ابنة البلد وامراة الاسطى شفيق فهى نموذج لبنات جنسها فى الاحياء الشعبية ، ففى حادث ابنها الذى لم يرجع الى المنزل بعد أن حمل الى ابيه العشاء ، يرسمها المؤلف وقد ذهب تفكيرها كل مذهب واختارت أسوأ الاوضاع ، فالابن لم يته فحسب بل اختطفه أولاد الحرام اختطافا !
وهى اذ تبكى ولدها وتحض زوجها على البحث عنه • تفعل ذلك بطريقة انانية اى بأسلوب يوحى بأن الطفل فلذة كبدها هى فقط وليس كذلك بالنسبة الى ابيه ايضا . انها لا تحب أن يتأخر زوجها فى عمله . فهذه فرصة لاتهام العمل الذى تغار منه وطموح الاسطى الذى يضطره الى البقاء مدة اطول فى دكانه ليصنع ويبيع فوانيس أكثر . وهكذا فلولا هذا العمل الذى اخره حتى الثانية صباحا ، لما بقى امر غياب الطفل مجهولا حتى تلك الساعة المتأخرة ، وبالتالى لما تاه او اختطف !

ويخيل الى ان هناك موقفا من مواقف القصة اراد الكاتب ان يبرزه ولكنه لم يوفق فى ابرازه . ربما لان بقية هذه المواقف او اكثر يملك كل منها صوتا صارخا يحدثه ، أعلى من صوت الآخر الهامس بطبيعة الحال . واعنى بذلك موقف الطفل النائم والفانوس فى احضانه • لقد طغت على هذا الموقف الانسانى — وهو خاتمة القصة — الاحداث التى سبقته من اختفاء الطفل فجأة الى اكتشاف بوليس النجدة انه هو وليس السارق من كان فى الدكان . فهذه جميعا عملت على جذب القارىء وشد انتباهه كله ، حتى انها لم تترك بصيص ضوء تلقيه على هذه اللمسة الانسانية من حب الصغير لفانوسه .

وبالنسبة الى القصة الاخرى الجيدة « معلهش يازهر » لست ادرى . لم لا اوافق المؤلف على على هذه التسمية وافضل لها عنوانا آخر مثل .. ألفة ، التى تكاد تظلل كل حرف فيها • ربما لان الالفة هى العاطفة جمعت قلوب اعضاء الشلة فى المقهى حول بهية بائعة أوراق اليانصيب ، وجعلت لوجود هذه الفتاة ضرورة فى حياتهم . ولقد نجح القاص فى أن ينقل الينا قطعة من الحياة التى تتسلل اليها هذه العاطفة التى ليست حبا او صداقة ، لانها لا تعرف الحدة ولا العنف انما السكينة والسلام ، الى نفوس جماعة من الاصدقاء، فتنعش لحظاتهم التى يجلسون فيها الى المقهى ويلعبون الطاولة • وجسد نعمان عاشور هذا الشعور الذى أحس به كل منهم والفتاة تنشر عليهم ظلا من الرحمة وفق قاصنا فى اعلان أصالته وعدم التقيد بالصورة التقليدية لفتاة مثل بهية تبيع أوراق اليانصيب فى المقاهى نظير ما تقدمه معها من همسات أو لمسات واستجابة لغزل خفيف او ثقيل او من عرض جسدها • كما تدل أيضا على أن اديبنا يرفض أن ينضوى تحت لواء من ينظرون الى الحياة والاحياء من خلال منظار جنسى • فنحن لا نأكل او نتنفس جنسا فى كل لحظة من الليل والنهار . ومن هنا كانت «معلهش يا زهر» بألفتها الانسانية . ان الالفة تبعد القذارة وتمنعها من الظهور ، وهذا لا يعنى انكار احلام جنسية تداعب

اعماق الشلة ،فربما كانت بائعة اليانصيب بطلة لاكثر من حلم يقظة من احلامهم . ولكن هذه الامانى الخافتة التى لا تلفظها الشفاه لم تتعد أبدا منطقة احلام اليقظة التى لا ضير منها مادامت الالفة تمنعها من ان تتحول الى حالة مرضية .. الى شهوة عارمة . ان أكثرهم متزوج وبهية لا تأخذ مكان الزوجة او حتى العشيقة ،ولكنها ترمز الى الانسان والتعاطف الانسانى فى أبسط صورة بلا ضجيج ولا ادعاء . وعندما انقطعت بائعة اليانصيب عن التردد على المقهى فقدت اللعبة سحرها وبدت الجلسة كئيبة . وعندما عادت وقد ابلت من مرضها ، عادت الى الشلة روحها المرحة الطليقة .

وقصة « حكاية كل يوم » يخيل الى ان نعمان عاشور لم يكتبها تحت وطأة الحاح وحى فنى ، بل استجابة لرغبة فى التشفى ومهاجمة مشكلة ازدحام المواصلات ، وتهور سائقى الاتوبيس وتصوير هذا كله فى قالب القصة .. من خلال احتفال راكب بكرامته وبحقه فى خدمة ممتازة من مرفق المواصلات ، مهما لقى فى سبيل ذلك من تعب وتعرض للمهانة وسرقة نقوده . وحتى عندما لا يأتى اديبنا بجديد فى مضمون هذه القصة ، فان عمله العادى لا يغفل من لمسة انسانية سريعة هنا وهناك . كما عبر عن احساس الاستاذ عبد الفتاح عندما وجد مقعدا خاليا لاول مرة فى الاتوبيس ، فالقى بثقل جسمه كله عليه فى ارتياح تام ، وبذلك نقل الينا المؤلف فى لقطة خاطفة تشوف الراكب الى مقعد خال ـ وكأنه الكبريت الاحمر ـ فى السيارات العامة !

ويبدو ان القصتين الاخيرتين « عم عثمان والمجنونة ، الفاتحة لسيدى عواد » متقدمتان فى تاريخ كتابتها عن بقية القصص للضعف الواضح الذى يثقلهما . ففى القصة اولى ، يتساءل القارىء وربما للمرة الوحيدة فى هذه المجموعة ، عما يعنيه الكاتب بعمله هذا . ولا يعود ذلك الى ما يوحى به تندفع سيدة منفوشة الشعر ترتدى ثوبا أبيض من العنوان من حتمية غموض عالم الأوهام . فالقصة من هذه الناحية واضحة وضوحا لا لبس فيه . بوابة مدرسة ابتدائية للبنات ، وتوقع عم عثمان البواب ارضا ، وتتوسط الفتيات فى الفناء ، وتمسك بواحدة منهن وتجرها جرا . وتضطرب المدرسة حتى يستطاع الامساك بهذه المرأة ويدخلونها حجرة الناظرة وتتابع الاحداث وتعرف ان هذه السيدة مجنونة وهاربة من مستشفى المجاذيب ، وان هذيانها ناجم عن وفاة ابنة لها كانت فى هذه المدرسة تلميذة ، فأثرت الصدمة على عقلها ورفضت ان تصدق حكاية موت وحيدتها ، ولهذا فقد جاءت لتنقلها الى مدرسة أخرى . وفى النهاية يعود بها رجال المستشفى .

يتحول القلم فى يد القاص نعمان عاشور فى فى أحيان كثيرة الى فرشاة فى يد رسام كاريكاتورى ساخر ، كرسمه لركاب الاتوبيس فى قصة «معلهش يا زهر » (ص ٣٥) « الناس يتجمعون .. دفعة واحدة يتجمعون حول سيارة الاتوبيس حتى تفيض بهم ، ثم تسير وكأنهم يحملونها على اكتافهم كما يحمل النمل هيكل صدر عظام الفرخة بجوار الحائط » !

وقريب من هذه المقدرة البارعة ، تجد نعوته الدالة على فهم للنفس البشرية وثقافة واسعة أيضا ١٠ يصف احدى شخصياته الذى يحاول ان يقترض قدرا قليلا من المال ،بقوله « دايخ دوخة نبى وسط القوم الضالين » ! (ص ٧٣ ـ سبوبة شم النسيم) ، وفى موضع آخر يقول على لسان احد ابطاله «نظرت فى عينيه فرأيت الدموع لاتزال تغرق مآقيه . وقد تجمدت داخلها تجمد البالوظة فى طبق البنور » ! (ص ٤٤ ـ مقالب ابو العطا) .

ويتميز كاتبنا فى كثير من قصصه ببراعة فائقة فى الوصول الى خاتمة جيدة لقصته وليس ادل على هذه البراعة من ادراك القارىء ان اديبه يستطيع ان يخلق خاتمة أخرى وتكون تابعة أيضا من داخل القصة ذاتها . وهذا دليل على ثراء أحداث وشخصيات القاص ، وقدرتها على الايحاء باكثر من مغزى واحد . ولنأخذ احدى قصص هذه المجموعة، ولتكن « مقالب ابو العطا » نموذجا .

هيكلها العام لا يخرج عن محاولة شقيقين ريفيين بمساعدة بلدياتهما الموظف فى المدينة عطا أفندى ، اخراج جثة شقيقهما الثالث من المستشفى التى مات بها . وتبدأ سلسلة من المساومات . المرض يزعم ان الجثة ستشرح ولكنه امام الجنيه الذى يقدمه الاخوان المذعوران يقدم يد المساعدة . وسائق التاكسى يوقف سيارته فى منتصف الطريق الى القرية ويطالب بعشرة جنيهات اخرى مهددا انه

اكتشف حقيقة الراكب الصامت « الميت » ورجال الصحة فى الكفر لا يوافقون على اعطاء تصريح الدفن الا بعد تقديم المعلوم من الهدايا ! هكذا مساومات وراء مساومات . وعند ماياتى نعمان عاشور بنهاية تواكب هذا النقد وتشير الى تخلخل فى بنائنا الاجتماعى ، والى المدى الذى يصل اليه المواطن فى مقاومة استبداد السلطة سواء بممثليها الكبار والصغار ، او بمن هم اكثر فهما وتجربة منه ، فانها تبدو خاتمة طبيعية لم تستعر من خارج العمل الادبى بل ولدتها خلاياه . ولكن هذه النهاية التى اشرنا اليها لم يكتبها قاصنا ! فخاتمة « مقالب ابو العطا » ليست كذلك ، لقد جعلت احداث القصة كلها فى خدمة شخصية ابى العطا نفسه او عطا افندى كما يطلق عليه الريفيون . وابان نعمان عاشور فى نموذج هذا الموظف ، التكوين النفسى الذى يطرأ على المرء الذى يهجر الريف ويسكن المدينة ، ويحصل من تأقلمه هذا على خبرات معقدة يحتال بها على سذاجة من يتصل به من أهل قريته لقد القى المؤلف بخاتمته ضوءا جديدا على القصة ، وجعل القارىء يدرك جيدا حقيقة هذا الجهد الذى بذله ابو العطا فى خدمة زواره من ابناء بلدته ، وانه لم يكن لوجه الله ، فقد سرق حافظة المريض الميت .

وتعد خاتمة هذه القصة الممتازة من اغنى النهايات لقد نجح نعمان عاشور بخفة دمه وقدرته على اللمسات الساخرة من اول القصة الى ما قبل السطور الاخيرة فيها ، ان ينتزع الضحكات والانطلاقات المنشرحة من قلب القارىء ، وخاصة عندما تصل العقدة الى قمتها وركاب السيارة ينطلقون الى الحقول ويختفون فيها تاركين ميتهم للسائق الجشع قائلين له « .. خذ الميت خليهولك « مش لازمنا » ! ولكن قدرة المؤلف وصلت الى مداها الاكبر ، عندما حول هذه الضحكات والقهقهات نفسها الى حزن صارم والخاتمة تنبض بنذالة عطا افندى الذى سرق الرجل الميت .

فى اكثر الاحايين ينتقل نعمان عاشور بسرعة من موقف الى آخر بلا تمهيد كاف ، بل احيانا بلا تمهيد بالمرة ، حتى ليشعر القارىء بوجود فجوة لا يمكن ان يجتازها بسهولة ، فلا مناص له من التعثر فيها مضطرا ، مهما حاول الاستعانة بالخيال والاغراق فى الاندماج وادخال شخصه فى اطار القصة ذاتها . ففى قصة « فوانيس » مثلا يقف القارىء على مادار بين الاسطى شفيق وبين شريكه فى المحل ، بعد ان جاءا من تطوافهما فى القرى لبيع بضاعتهما من الفوانيس ، واخذ كل منهما مبلغا من المال تحت الحساب . وغادراه ليعودا ثانية بعد عشاء سريع . فيتهيأ الاسطى شفيق لغلق دكانه والعودة الى بيته . وفجاة نقرأ « وارتد عائدا الى المنزل .. لكن ام احمد لم تكن تتوقع اوبته بهذه السرعة وخافت ان يكون قد اصابه مكروه . » (ص ٩) . لقد القى المؤلف الجو النفسى المسيطر على شفيق سواء اكان ذيولا لما حدث فى الدكان او احاسيسا تطوف به حول ما هو مقبل عليه ، وكذلك الاحساس بشخصية الزوجة «ام احمد» ووجودها . واكثر من ذلك ، لا يكتفى نعمان عاشور فى هذا المجال بين موقفين بالقاء الحالة المعنوية لبطله ، بل يمتد الى الفعل المادى ايضا . ففى اللقطة التالية مباشرة عندما تعلق الزوجة بنت البلد فزعها لعودته مبكرا على غير العادة ، لا يجيبها باكثر من تقديم ورقة تحتوى على رطلين من اللحم ! فهل اشتراها الاسطى شفيق وهو فى طريقه الى منزله ، ام انها كانت فى دكانه واخذها معه ؟ تساؤل لا يمكن للقارىء الاجابة عنه أو استيضاحه من القصة . لانه ازيل تماما فى انكار المؤلف للتمهيد للموقف !

ولا يعنى هذا القول اننا ننكر ان يلجأ الكاتب الى تغطية كلماته او لسانه ، لحاجة الفن الى مزيد من اشتراكا فعليا فى خلق القصة ونفث الروح فى شخصياتها ، وتحوله الى عامل ايجابى فى هذا الخلق ، وحتى لا يتحول الفن من ناحية أخرى الى كائن مكشوف يعمل على اصابة فكر متاقبه بالشلل لانه بوضوحه التام يلغى وظيفة العقل أو اكثرها فى التفكير ، ويهضم له مايجب ان ياخذ دورته الكاملة فى التمثيل والاستساغة فى نفس القارىء . ومن هنا ايضا يداب كمتلق للعمل الفنى على تنشيط حركة الخيال لتضيف ما تركه لنا المؤلف ناقصا ــ بارادته ــ غير كامل . كما فعل قاصنا نفسه فى قصة « فوانيس

علاء الدين وحيد

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

الحركة العربية الواحدة فى اللغة والأدب

الحركة العربية الواحدة التى يدعو اليها اليوم ويقودها الرئيس جمال عبد الناصر ، ذات جذور عميقة فى حياة الامة العربية ، وهى تعنى — فى اجمالها — العمل المنبثق من حاجة واحدة مشتركة، المتجه نحو غاية واحدة مشتركة .

واذا كانت قد انتكست فى نواحى كالسياسة والاقتصاد ، بفعل التدخلات الأجنبية ، فانها ظلت متصلة فى مجال اللغة والأدب. وقد اتسعت رقعتها فى عصور الازدهار العربى ، فلم تقتصر على ما بين الخليج والمحيط ، بل عبرت الى البحر الابيض المتوسط وعاشت أزمانا فى جزره فى الاندلس . شملت المشرق (كالعراق والشام) والمغرب (الاندلس وشمال افريقية) **وكل اديب او عالم او فيلسوف نبت فى اى من تلك البلاد هو جزء من تراث العربى فى اى بلد آخر .**

استمرت الحركة العربية الواحدة فى مجال اللغة والأدب ، ضعفت أحيانا وتعثرت أخرى ، ولكنها لم تنقطع ، برغم العواصف التى هبت عليها من الخارج . وكان الامر كما جاء فى مقال **الدكتور محمد عبد القادر حاتم** بالعدد الماضى من **الزميلة « الثقافة » اذ قال : « ومن الثابت تاريخيا ان محاولات الحكم العثمانى لابادة الثقافة العربية ، ومحاولات الحكم الاستعمارى الغربى لاذابة هذه الثقافة وسط تيار الثقافة الغربية قد باءت كلها بالفشل لاسباب من أهمها أصالة الثقافة العربية نفسها واستنادها الى قيم عظيمة افتقدها الحكم العثمانى وافتقرت اليها الحضارة الغربية » .**

وفى مطلع نهضتنا الحديثة راح قوم ، بتعبئة الاستعمار الغربى الذى يعلم قوة اللغة العربية فى ربط أجزاء الوطن العربى ، يعملون وينتظرون .. يعملون على تمزيق اللغة العربية وقتلها باحلال اللهجات المحلية فى كل قطر محلها كما حدث فى أوربا ابان نهضتها ، وينتظرون نتيجة هذا الذى زعموه تطورا طبيعيا ..

وكان الهدف قتل الحركة العربية الواحدة فى مجال اللغة والثقافة ، كما قتلت او عوقت فى السياسة » .

ولكن كان هناك شىء اقوى من كل شىء ، كان هناك الشعب العربى نفسه فى كل مكان حتى فى امريكا .. انه شعب واحد ، ليس كشعوب أوربا المتعددة ، فاذا كانت اللغة الاوربية القديمة قد تمزقت وحلت محلها اللغات المحلية ، فان الأمر بالنسبة الى اللغة العربية مختلف جدا .. لأنها لغة شعب واحد . اما شعوب اوربا المختلفة فقد كان كل شعب منها فى حاجة الى لغة خاصة .

وكانت اعتى المحاولات فى الجزائر على يد الفرنسيين الذين حاولوا أن يحولوا الشعب العربى فى الجزائر الى شعب فرنسى لا ينطق بغير الفرنسية ، ولكن شعور الشعب الجزائرى بأنه عضو من الجسد العربى الحى النابض هدم كل ما بناه الاستعمار

« وفى اقل من عام واحد، عقب اعلان الاستقلال، اندفع الشعب الجزائرى ، فى حماس رائع ، فى حملة من اجل التعريب والعودة الى الثقافة العربية التى توهم الاستعمار الفرنسى أنه انتهى من أمرها فى الجزائر الى الأبد » كما قال الدكتور حاتم .

وفى تاريخنا الحديث نشب صراع « درامى » عنيف بين محاولات الاستعمار الغربى لتمزيق « حركة اللغة والادب الواحدة » وبين هذه الحركة وظل الصراع ينمو ويتطور ، والحركة تكتسب من

كفاحها اياه قوة ونماء ، حتى بلغت ذروتها على ايدى رواد الادب فى نهضتنا الحديثة .

وقد حملت مجلة « الرسالة » لواء هذا الكفاح الذى اجتمع حوله ادباء ومثقفو العرب على اختلاف اوطانهم قرابة ربع من هذا القرن . وصار كل كاتب وشاعر من امثال ساطع الحصرى والزيات والرافعى والمازنى والعقاد وطه حسين واسعاف النشاشيبى وعلى محمود طه ومحمود حسن اسماعيل وفدوى طوقان ووداد سكاكينى وابراهيم الوائلى وشاكر حصباك وغيرهم ـ صار كل واحد من هؤلاء يذكر على انه « عربى » لا يكاد الذهن يلتفت الى بلده الخاص .

معوقات للحركة الواحدة

ومن المفارقات العجيبة ان نرى الآن فى ميدان الحركة العربية الواحدة متناقضين من اغرب المتناقضات .. هل هما مد وجزر ؟

اما المد الذى لا شك فيه فهو فى السياسة ، وقد وصل الى القمة .. فى مؤتمر القمة العربى المنعقد الآن فى القاهرة ، لم يصل الى هذه القمة الا بتفاعله المضطرم فى القاعدة العريضة .. قاعدة الشعب العربى .

واما الذى تحلق فيه علامة الاستفهام .. فهو فى اللغة والادب .. هل هو جزر أم هو ليس الا عوائق مد .. ؟

انه يتمثل فى اقلام هزيلة لم تمنحها العربية سرها .. لانها ـ أعنى الاقلام ـ بعدت عنها وراحت تستمد مقوماتها من الكتابات الصحفية واشباهها .

و « سر العربية » عطر يكتسب من طول المعاشرة لروائع اللغة ، يمتصه القلم ، ثم يشبعه فيما يكتب ، فيحس به القارىء ويتشممه فى نشوة .

لافتقاد « سر العربية » فيما تكتب هذه الاقلام ، لم تستطع ان تتخطى الحدود الاقليمية ... لم يشعر القارىء فى الوطن العربى الشامل بأن احدا من كتابها هو كاتبه الذى يحبه ، كما شعر بالنسبة لعمالقة الكتابة العربية المشبعة بالعطر العربى .

تحاول هذه الاقلام الهزيلة المستعجمة ان تضع الحوائل فى سبيل الحركة اللغوية الثقافية العربية الواحدة ، ولها فى ذلك افانين ومفرزات تظهر احيانا وتختفى عندما ترى تيار الحركة جارفا . فمرة تظهر فى صورة « الفرعونية » تحاول ان تحول بها الانظار عن العروبة ، وهذه صورة قديمة طالما غزاها الاجانب الذين أرادوا أن يشغلونا ببريقها عن مواصلة الزحف العربى .

ومرة تظهر فى صورة الحداثة والثقافة المعاصرة مدعية ان التراث العربى لا قيمة له ، والاشتغال به ضياع وعبث ، كأن الثقافة الحديثة والتراث العربى امران متناقضان !

واخيرا هذه الدعوى العريضة التى تقول بان جماهير الشعب لا تفهم اللغة العربية الفصحة ولا تتقبلها . فيجب لهذا ان تترجم المرحيات العالمية الى اللغة العامية .

ومعنى هذا انه يجب عزل هذه الجماهير عن اللغة العربية وان يؤدى لها كل شىء بالعامية ، ويجب ـ عملا بمنطق هذه الدعوى ـ منع تعليم اللغة العربية فى المدارس والجامعات لكى تتخرج الاجيال القادمة عامية بحتة !

فى الاذاعة والتليفزيون

وتتسع تلك الدعوى وتصل الى درجة الخطورة فى الاذاعة والتليفزيون .. ان القاعدة الأساسية فى هذين الجهازين الخطيرين أن الأداء يكون باللغة العامية ، وان ما يؤدى باللغة العربية استثناء .. لأن جماهير المستمعين والمشاهدين لايفهمون العربية الفصحى ..

وهذا كلام لا يمكن التسليم به . اذكر على سبيل المثال انى استمعت أمس الى برنامج «طبيب العيلة » وهذه التسمية نفسها مركبة من كلمتين واحدة فصيحة غير متداولة فى الحديث العادى ، وما اظن احدا يقول انها غير مفهومة .. والثانية عامية ، وما اظن بديلتها الفصيحة « الاسرة » اقل قابلية للفهم من الاولى .. استمعت أمس الى حديث فى هذا البرنامج يبدأ هكذا :

« بتختلف عيوب النطق عند الاطفال اختلاف كبير » ويستمر فيقول : « وبالمناسبة دى اول » ونسأل : « ماذا لو أن المتحدث قال بدل ذلك « تختلف » بدون الباء ؟ هل هذه الباء هى التى

جعلت الـــكلام مفهوما .. ؟ وماذا لو انه أعرب فقال ((اختلافا كبيرا)) هل تقف الالف حاجزا دون الفهم ... ؟ وماذا اذا قال ((وبهذه المناسبة اقول)) ؟ هل هذه لغة غريبة لا تفهم .. ؟

ونحن لا نعارض ان تؤدى بعض البرامج باللغة العامية ، ولكن على ان يكون ذلك هو الاســـتثناء للضرورة ، ولا يكون القاعدة الأساسية . ولا أدرى اية ضرورة تلجىء الى ان تقدم التمثيليات العالمية مثلا فى الاذاعة باللغة العامية .

والأمر لا يقف عند البرامج العــــادية ، فانه يستفحل حتى يبلغ ((البرنامج الثانى للاذاعة)) وهو موجه بطبيعته الى الخاصة والمثقفين .. فالندوات فيه تجرى مناقشاتها بالعامية .. كذلك برنامج ((مع النقاد)) الذى يتمثـــل فيه العى وتســوده الفأفأة واللألأة .. نتيجة لاسترخاء الالسنة وعدم العناية باخذها بالتعبير الفصيح . وهذا البرنامج هو اجدر شىء بان يكون قدوة فى المجال التعبيرى .

ويبدأ البرنامج الثانى كل يوم بما يسمى ((كتب عالمية)) تعرض وتلخص .. الملاحظ اولا انها كلها ذات لون معين هو لون السياسة ، كان الكتب العالمية لا تؤلف فى غير السياسة .. ونعبر هذا الى المقصود فى موضوعنا ، فنقول ان **معظم الذين يلقون هذه الملخصات لا يحسنون النطق العربى ، انما يقراون بطريقة لا ترتفع عن مستوى التلاميذ فى المدارس الاعدادية ، مع فارق واحد ، هو ان التلميذ يراقبه المدرس ويصحح له .. هــــذه الطريقة فى الافتتاح اليومى لبرنامج هو قمة الثقافة فى اذاعاتنا .. مهزلة كبيرة .. يجب القضاء عليها وعلى بقية المظاهر العامية فيه قبل ان نفكر فى تقوية ((الموجة)) حتى تصل الى سائر أجزاء الوطن العربى .**

واذكر مرتين اشتركت فيهما فى برامج ومواد ادبية تعد للعرض على شاشة التليفزيون . المرة الاولى كانت فى نادى القصة وجمعية الادباء حيث حضر رجال التليفزيون لتسجيل ندوة ادبية .

والمرة الثانية فى مناقشة ادبية بالبرنامج الثالث الثقافى .. كان المشرفون فى كلتا المرتين ((**يوجهوننا**)) قائلين : ((**بلاش اللغة العـــربية !**)) فكان منا من ((**يتوجه**)) ومنا من يستعصى على ((**التوجيه**)) فيعبث المشرفون بالتليفزيون ..

تلك كلها عوائق لتيار الحركة العربية الواحدة فى مجال اللغة والثقــافة ، لا تتفق مع الجهود الكبيرة العظيمة التى نراها فى مجــال العمـــل السياسى العربى الكبير العظيم الذى بلغ القمة فى مؤتمر القمة المرموق ..

عباس خضر



الفكر فى اسبوع

يقدمه: تحسين عبد الحى

لقد اعتدنا في لقائنا الاسبوعى على صفحات الرسالة ان نقدم بعض الكتب الجديدة — في باب الكتب — بعرضها والتعليق عليها حينا ثم . بعرضها فقط حينا آخر .. وسوف يتجدد لقاؤنا من الآن فصاعدا مع موضوع اعم واشمل — هو — الفكر فى اسبوع » محاولين من خلاله — ان نقدم بعض ما يدور فى اندية الثقافة والأدب بالقاهرة .. بما فى ذلك المناقشات التى تظهر فيها احيانا بعض الاجتهادات الفكرية — ولن يترك — الفكر فى اسبوع — الكتاب — على اساس ان كل كتاب جديد يصدر هو بلا شك يمثل اضافة جديدة — الى فكرنا العربى المعاصر .. **فالكتاب الجيد الذى يتفق فيه — الشكل مع المضمون — يلعب دوره القيادى فى ذهن الانسان وخاصة عندما يخاطب فيه العقل والوجدان — ليعمق المفاهيم والمشاعر ويقومها ومن هذا المنطلق سوف نقدم كتابا كل اسبوع .. باعتبار انه عمل فكرى ..**

والى اللقطة الأولى من الفكر فى اسبوع ..

ثمن الحرية ..

كانت زيارتنا هذا الاسبوع لنادى القصة — الذى اجتمع فيه الادباء للمناقشة والاستماع الى — دراسة ونقد وتحليل قصة الاستاذ على شلش الجديدة — ثمن الحرية .. واشترك فى هذه المناقشة الاستاذان يوسف الشارونى وعبد العاطى جلال .

وقد ناقش الاستاذ يوسف الشارونى — القصة موضوع الندوة وهى قصة ثمن الحرية — وهى قصة تاريخية تدور حول هزيمة لويس التاسع ملك فرنسا فى معركة المنصورة عام ١٢٥٠ م . ويرى الاستاذ الشارونى — ان اهم خطر تتعرض له قصص تتناول موضوعات البطولة التاريخية — هو الاسلوب الخطابى — وهذا هو ما نجح مؤلف ثمن الحرية فى تجنبه — والخطابية فى مثل هذه الاعمال قد لا تاتى من الجمل الانشائية والكلمات الحماسية — فهذا ما يتنبه اليه اى اديب يعرف الاصول الاولية للعمل القصصى — انما هى تاتى من خطر تصوير فريق بالخير المطلق والفريق الآخر بالشر المطلق وبذلك تفتقد العنصر الانسانى فى الفريقين على السواء — وبالتالى تفتقد الصدق والاقناع الفنيين .

وقد صور مؤلف ثمن الحرية — حماس المصريين فى الدفاع عن وطنهم واستعدادهم لبذل ارواحهم — حتى قدم بعضهم حياته وبعضهم قدم عضوا من اعضاء جسده — وبعضهم فقد ثروته — لكنه ذكر خيانة البعض عندما دل الجيش المحتل على مخاضة يخوضون منها القناة التى كانت تفصلهم عن مدينة المنصورة — وما نتج عن هذه الخيانة من خسائر فى الارواح والاموال .. كذلك صور المؤلف الفرنسيين بصورة المعتدين المتهالكين على شهوة الجنس والمال لكنه حرص على ان يذكر — ما ذكرته كتب التاريخ — من رفض لويس التاسع وهو فى اسره — هدية من سلطان مصر — وكذلك دعوته الى الطعام معه وهذه النظرة الانسانية التى لا تجعل من الفرد شرا خالصا — ولا من الصديق خيرا خالصا هى التى تقنع القارىء بصدق العمل الفنى ..

وقد حرص الاستاذ على شلش على تقديم تفسير تنعكس فيه روح القرن العشرين خلال روايته للاحداث التى ادت الى هزيمة لويس وأسره فى المنصورة منذ اكثر من سبعة قرون .

« انتم المسئولون »

نشرت — الزميلة — مجلة الكاتب — فى عددها الأخير **مقالا تحت عنوان — كلمـــة الى المثقفين العرب — للاستاذ احمد عباس صالح .. وبعد نشر هذا المقال علق عليه الاستاذ احمد بهاء الدين فى الاخبار — موضحا — انه يوافق على كل ما نشر فى المقال ولكنه يضيف ان الثورة مسئولة هى الاخرى عما وصل اليه الحال بالنسـبة للمثقفين — وليس المثقفون انفسهم .. الخ ..**

والواقع ان هذه القضية — وان كانت فى حاجة الى بحث شامل الا اننا نود ان نوضح شيئا هاما بشكل فى اعتقادنا مفتاح الموقف ..

فمقال الاستاذ احمد عباس صالح — رغم قيمته ومستواه — قد سار على النهج الذى ســار عليه غيره فى تناولهم للكثير من مشاكلنا — وهى طريقة — العرض — والعـــرض فقط .. وان شئنا الصراحة — اللف والدوران حول القضية — دون التعمـق الى دقائقها البسـيطة والتى تكون فى مجموعها لب الموضوع .

اننا نجتاز مرحـلة تاريخية تتسم بالانشـــائية والتجديد .. والتجـديد فى حاجة دائما الى خلـق ومن ثم فلا يكفى الكاتب ان يعرض موضوعا ما — وانما لا بد ان يقترح ما يراه مناسبا من الحلول حتى يستطيع ان يرتفع الى مستوى الموقف الذى يمكن ان يتخذه — :

والراى عندى ان الثورة لم تكن فى يوم من الايام مسئولة عما يسمونه بازمة المثقفين — ولا جموع المثقفين انفسهم مسئولون عن ذلك ..

ولكن المسئولية تقع وبالدرجة الاولى على عاتق اولئك الذين يتصدرون معظم القيادات الفكرية فى وطننا .. فعندما قامت الثورة فتحت صـــدرها — ومدت يدها لكل طبقات الشعب على اختلاف طبقاتهم ونوعياتهم .. واســتطاع الكثيرون ان يصــلوا عن طريق الثورة الى مراكز قيادية فى اكثر وســائل الثقافة والاعلام — التى تشكل الراى العام — ولا نستطيع ان ننكر انه كان لبعضهم قبل ذلك مبادىء وقيم وافكار — وربما مثل عليا — ولكنهــم عندما وصلو فى غفلة من الزمن الى ماوصـــلوا اليه .. اصبحوا يشكلون طبقة جديدة هى اخطر من طبقة الاقطاعيين القدماء .. انهم يشكلون اقطاعا فكريا جديدا .. ورجعية ذكية فى نفس الوقت ..

لقد خرج بعضهم من القاعدة — وبوصوله الى ما يريد اصبحت له تطلعات طبقية جديدة — وانفصل انفصالا كليا عن زملائه واخوانه — بل وعن كل وسطه الاجتماعى .

وعندما احســت هــذه الطبقة الرجعية الذكية المثقفة — ان مركزها يمكن ان تصـــيبه اية نكسة — خرج في حياتنـــا الفـــكرية والادبية معنى جـديد للعلاقات الفكرية — وهو علاقة الشلل — فهذه شلة فلان وهذا من شلة علان — الخ واذا ماتعرض احدهم لاى شىء فى مكان ما — فسوف يكون من المسلم به ان تجد زملاءه وقد اثاروها حربا شعواء فى مقالاتهم وفى الصحف والمجلات التى يعملون بها ولمحاولة هؤلاء حماية انفســهـم — تجدهم — **ينظرون الى كل جديد — ولكل من يحاول ان يعمل لصالح المجتمع نظرة شك** — وتربص .. وليس اسهل على هؤلاء من تحطيم كل عمل فكرى انشائى وذلك باختراع تعريفات جديدة ومقاييس ملفقة — مثل — **ان هذا ليس اشتراكيا — وذاك منحـرف وغيره — ليس ميثــاقى وخــلافه — عميل — ولا قومى — الخ ..**

واصبح استعداء السلطات — فى سوق الفكر والادب من السلع المتداولة فى حياتنا .

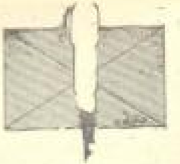
ان مجتمعنا وامتنا العربية احوج ماتكون فى هذه الفترة الى طراز جديد من المفكرين العرب يؤمنون بالاشتراكية العربية كحياة يحيونهـــا لا كسلعة يساومون عليهـــا وبالوحدة العربية مطلبـــا يوميـــا جماهيريا وبالحرية البناءة مجالا لتباين وجهات النظر المتعددة لكى تخرج متمثلة فى حياة الانسان العربى الفرد — قولا وعملا — ولن يتاتى لنا ذلك الا بالقيام بثورة ثقافية حقيقية — واول مبادىء هذه الثورة الثقافية هو منع التســللات الثقافية الفارغـــة والقضاء على حياة الشلل والايمان بالمجتمع ككل وبالامة العربية كمجال للعمل البناء .

ان المسئول عن هذا كله .. ليســت الثورة ولكنهم اولئك الذين تسللوا من خلال الثورة لكبت كل فكر وتحطيم كل جديد محاولين تشكيل الراى العام على اساس من الوهــم الكبير — انه انتم ايهـــا السادة ..

ابحثوا فى نفوســكم عن الحقيقــة — وعندما تجدونها .. فسوف تســتطيعون ان تبداوا معنا الطريق واذا صعب عليكم ذلك فتاكدوا انها مسالة وقت فقط .. وسوف ترغمون على الاعتراف بها .. وانتم المسئولون ..

تحســين عبد الحى

البريد الأدبي



رد .. وتعليق ... عن مهرجان المنصورة

كتب الاستاذ محمد عبد الله السمان مقالين عن مهرجان المنصورة ، احب ان اوضح بعض النقاط التى غشاها بعض الضباب ، فقد ذكر ان احسن قصيدتين من الشعر النسائى كانتا للشاعرتين : جليلة رضا ، وروحية القيلنى ، والواقع ان الشاعرة جليلة لم يدرج اسمها فى برنامج المهرجان ، ولم تحضر أو تشارك بشعرها ...

وتناول الاستاذ السمان نقطة أخرى عن المتطاولين على المهرجان ، ومنهم المخرجان حسن الامام ، وعاطف سالم ، والحق يقال عنهما انهما تحدثا عن الاهداف الفنية المأمولة لمحافظة الدقهلية ، كما اقترحا انشاء فرقة للفنون الشعبية بالمنصورة ، تلتقى بها كل الطاقات المحلية المطمورة فى مناجمها ... حيث ينتقى المعدن الخبىء من اطاره الترابى . الشناوى بالنيابة عنه ..)

وقال الاستاذ الناقد : (... ثم موقف الشاعر محمد الجبار ، الذى رضى لنفسه ان يلقى فى كل ليلة قصيدة ، بالاضافة الى قصيدة الاستاذ كامل

ودفاعا عن هذا الموقف الحساس ، اقول اننى لم الق شعرا فى اليوم الثانى الا تلبية لرغبات الجمهور ، الذى طلب من الاستاذ عقيل مظهر ذلك ، وكان لابد ان استجيب الى رغبات الحاضرين ، ولقد اعلن الاستاذ محمد جميل غازى هذا وهو يقدمنى فى ايام المهرجان ، ولقد كنت حريصا على نجاح هذا المهرجان ، باعتباره تجربة اولى ستتبعها تجارب اخرى ، كما كنا حريصين جميعا على تنفيذ المخطط المرسوم ، وهو تجميع الطاقات الفنية فى المنصورة ، ولم يكن من الناجح أن نبدأ بمهرجان له لافتة محلية ، يعالج قضية اقليم واحد ، وانما كان الهدف اولا هو خلق اللقاء الفكرى الجذاب بين كبار رجال الفكر والادب والصحافة الذين انبتهم هذا الاقليم ..

وبين اهل المنصورة ، مما يحدث انتعاشا فى الحياة الثقافية ، يفتح الاذهان الى ما يلى هذا من مهرجانات قادمة . وذكر ايضا الاستاذ السمان ان المهرجان لم يرع الادباء المحليين ، والواقع اننا استمعنا فيه الى نماذج جيدة منه ، وستكون الخطوة الثانية هى رعاية الملكات الفنية فى كل بلدة وقرية ، وسيسافر كبار ادباء المنصورة لاضاءة كل قرية بنور الكلمة ، حيث تبحث مشاكل المجتمع الريفى وتسمع الاعمال الادبية التى لا تجد لها صدى فى حياتنا الادبية ، فتجد لها اطار الضوء والحياة ..

وفى المقال الاول للاستاذ الناقد ايماءة الى ان قصيدة الشاعرة لورا الاسيوطى كانت واضحة المعانى ، الا ان المقال الثانى تجاهلها تماما ، كما تجاهل الناقد قصيدة الشاعرة ملك عبد العزيز عن مأساة التميز العنصرى ، والواقع انها قصيدة انسانية ناجحة ..

محمد الجبار

نجيب محفوظ والدين والعلم

قرأت للاستاذ انس داود مقالته الاولى فى العدد رقم ١٠٣٦ عن «مفهوم الثقافة عند نجيب محفوظ» وكانت مصادفة سعيدة أن جاء هذا البحث فى وقت كنت عاكفا فيه على قراءة كتب نجيب محفوظ ، ولذا انتظرت تتمة الحديث حين نشر فى العدد رقم ١٠٤١ فوجدت نفسى أختلف مع الاستاذ انس فى رأيه حول «مفهوم» الدين عند نجيب محفوظ .

وأبادر فأقول : اننى أكاد اتفق مع الكاتب فى كثير من افكاره القيمة حول ثقافة نجيب محفوظ ونشأته واتجاهه القيم للتعبير عن أجيال الضياع والاضطراب التى عانت من جراء وقوع حربين عالميتين ووقعت فريسة لتغيرات هائلة قلبت موازين الفكر وموروث العقائد فى النفوس .. لكننى اختلف معه حول تفسيره لمفهوم نجيب محفوظ عن الدين ودوره فى تشكيل الحياة .. ولنسمع أولا رأى الاستاذ ... يقول :

ان احمد ـ ويقصد احمد شوكت احـــد افراد السكرية ـ وهو يمثل الاتجاه الذى يعطف عليـــه نجيب محفوظ وينتصر له يستنكر على الدين اشياء كثيرة ، ويعتبره حلا مرحليا فى تاريخ الانســانية مضى أوانه ببزوغ عصر العــلم والايمــان بالخبرة والتجربة الانسانية ، ثم يقول !

(الدين كما يعتقد ـ احمد راشد احد شخصيات خان الخليلى ـ وكما يعتقد بالتالى نجيب محفوظ لم يعد كافيا لحل مشكلات البشر فى هذا العصر وتمثل آلامهم وأحلامهم ٠ ٠

ثم مضى يقول الكاتب : واذا كان موقف نجيب محفوظ من الدين قد أخذ شكلا حادا فى روايته التى لم تنشر بعد فى كتاب «أولاد حارتنا» ، فان هــذا الموقف لم يكن انفجارا فجائيا بل كان تعميقا لمجرى قديم فى تكوينه وتاكيد البعد من أبعاده الجذرية ٠ قديم ٠

وفى هذا القدر كفاية لندرك تماما وجهة الكاتب التى يراها فى ثقافة نجيب محفوظ من هذه الناحية ٠٠ واسارع فاقول : ان لكل انسان حرية الاستنباط والعمل الفنى ، ولا سيما اذا كان يمثل تســجيلا لوجدانيات الشعب وعقائده وشكوكه فى مرحــلة سابقة ، ملك لنا جميعا يرى فيه كل مايعتقد على شريطة ان يكون الراى ـ الذى نرى ـ مواكبا للعمل الفنى مقدرا ظرف الفترة التى يعبر عنها وواضح ان الاستاذ انس دواد يرى ان نجيب محفوظ يستبعد الدين كحل لمشكلات البشر ٠ ٠لماذا ؟ «لانه حل مرحلى فى تاريخ الانسانية مضى أوانه ببزوغ عصر العلم» ٠٠ كما يقول ٠٠ ولا ندرى كيف ســاغ له ـ وهو الشاب الواعى الذى بدأ حديثه بكلام فيه سمة العقل الفياض ـ أن يرى هذا الراى ولا يكتفى بذلك بل يعتبره من مكونات نجيب محفوظ الفكرية الاصيلة ٠٠ وواضح ـ أيضا ـ أن الكاتب استنبط ذلك من عدم ايمان احمد راشد ، واحمد شوكت ، بالدين ومن هنا فيجب ان يكون هذا ـ ايضا ـ هو ايمان نجيب محفوظ ؟

وحقا ان احمد شوكت لايؤمن بالدين ، وقريب منه احمد راشد لكن هل معنى ذلك أن نجيب محفوظ لايؤمن بالدين هو الآخر ، كما يرى الكاتب الفاضل

ونود الا نطيل فى حيادية الفنان او اســتهدافه

وهل من الضرورى أن يؤمن الفنان بمعتقدات أبطال رواياته .. فتلك قضية ان كانت صادقة أو غــير صادقة .. فليس لها مجال فى موضوعنا هــذا وخصوصا عندما ندرك أن نجيب محفوظ يعبر عن اجيال ـ حكمنا عليها سلفا ـ كما فعل السيد الكاتب بالشك والضياع ٠

ونعود مرة أخرى لنناقش الكاتب فى رايه عن الدين ٠٠ ان من بسائط المعلوم أن أوربا ـ كمثل ـ قد نبذت دينها واحلت محله العلم ، فهل استطاع العلم ـ بالاته وسحره ـ **أن يقدم للبشرية كافة الحلول ؟ وان كان الجواب بالايجاب فما هذا الانحلال والضياع والتمزق الذى يعانى منه الشباب هناك ؟ نعم ان العلم قد ارضى غرور الانسان وكفل له الراحة المادية لكن هل ملأ فراغ نفسه الخاوية ٠٠ كلا ٠٠ ثم كلا** وكم سمعت من صيحات للمصلحين عندهم تنادى بالعودة الى الدين ٠

فهل معنى ذلك (يااستاذ انس) أن نجيب محفوظ يريد لنا مجتمعا خاليا من الدين كمجتمعات اوربا ؟ ومن الذى قال ان الدين يناق العلم حتى تقول : ان نجيب محفوظ يؤمن بالعلم ـ هكذا ـ مجردا وكان الدين نقيض للعلم ؟ أمامنا سفر التــاريخ وتحت بصرنا سير علمائنا الافذاذ الذين لم يمنعهم دينهم من ان يكونوا أساتذة لاوربا نفســها طوال قرون وقرون ٠

ثم ماهو الدين الذى يهاجمه احمد راشد ـ واحمد شوكت : انه الدين الذى يوحى بالجمود ويصم أبناءه بالبلادة ويصرفهم عن متابعة الافكار الجريئة ويصدهم عن استغلال طاقات الحياة ، انه دين العهود العثمانية عهود الظلام والغباء ، انه الدين فى صورته التى كان معروفا بها حين كان يعيش احمد راشد واحمــد شوكت فى مجتمعنا القديم بمنع الانعزال والانكماش وما ابعد ديننا عن هذا كله ٠

واخيرا فان اتجاها ـ مهما كان مصدره ـ يبعد الدين ، واعنى ديننا الاسلامى بالذات ، عن الحياة ليعد اتجاها خطيرا ومشكلة كبرى ويكون الاحساس بالخطر اشد حينما تاتى من فئة الشباب فى مجتمع آمن بالقيم الروحية ونص على جدواها فى ميثــاقه الوطنى ٠

محمد عادل خلف
مدرسة النهضة بالمنيا

بريد القراء

في القصة

يقدمه : صبحي الجيار

* « قصر نظر » محمد امين توفيق المطاعنى بليسانس آداب عين شمس :

هى قصة شاب يطل من شرفة الفندق فى احد المصايف . يرى فتاة فى الشرفة المقابلة . يعجب بها ، ويفكر فيها كنموذج للزوجة التى كان يبحث عنها . يلوح لها بذراعه فترد الاشارة . ثم يتضح اخيرا انها ضريرة ، ويعرف ان اشارتها ما كانت الا لتبعد الذباب عن وجهها . ويصدم فى امله .

● الفكرة ساذجة عموما . ولا يعقل ان يفكر رجل فى الزواج من فتاة يراها لاول مرة فى الشرفة المقابلة . كما ان موقفه غير الانسانى ، عندما اكتشف عاهتها ، اضعف كثيرا من فكرة القصة . فاصبحت مجرد فكاهة .. اخلقت فى مأتم . اما اسلوبك فلا بأس به .

* « الموكب » محمد فتحى عبد الوهاب :

طفلة تقف أمام واجهة احد محلات الحلوى ، وليس معها غير قرش تعريفة ، تشير الى صنف من الحلاوى وتسأل عن ثمنه . ولما تعرف انه اغلى من التعريفة تشير الى صنف آخر ، ثم ثالث . وصاحب المحل يجيبها باقتضاب ، وهو منصرف بنظره الى عربة معـونة الشتاء القـادمة عند أول الشارع . ثم يتقدم بلفافة كبيرة الى العربة . وتندفع الطفلة مع المتبرعين . فتتبرع بالقرش التعريفة ، فينفعل التاجر بموقفها النبيل ، ويهديها قطعة كبيرة من الحلوى ، ما كانت لتحصل عليها بقرشـها التعريفة .

● الفكرة انسانية طيبة ، وتصويرك لشخصية الطفلة والتاجر كان جيدا ، والحوار يناسب نفسية الطفلة . نعدك بنشر القصة عندما يسمح المجال .

* « رحم الله روحك » معاوية احمد سالم بام درمان السودان :

قصة صديقين يقيمان معا فى مسكن واحد . يتخلف احدهما عن المدرسة ، فيقلق زميله ، ويسرع الى البيت ، فيجد فى احضانه حسناء . فيقع هو أيضا فى هواها . وتبدأ المنافسة بينهما على قلب الغانية ... الى آخر ست صفحات طوال .

● الفكرة بدائية جدا ، تعبر عن أحلام المراهقة، ولا يستغرب هذا ممن كان فى مثل سنك . فانت ـ كما ذكرت طالب فى مدرسة ثانوية . وتنفس عن غرائزك المكبوتة بمثل هذه التصورات ، التى هى اقرب الى أحلام اليقظة منها الى القصة بمفهومها الفنى . كما ان اسلوبك يحوى كثيرا من الكلمات الغريبة المعقدة ، التى لا محل لها من اللغة العربية .

ردود سريعة :

* قصة « ادارة » ليوسف الاسيوطى :

● اعترف بانى لم افهم تماما الفكرة التى أردت أن تبرزها فى هذه القصة فرداءة الخط مع التخبط فى طريقة السرد ، قد ضيعا كثيرا من تسلسل الفكرة وبالتالى لم يتبين لى القالب الذى صُبت فيه احداث قصتك ، هل هو قالب قصة ام مسرحية . أرجح انها خليطا من الاثنتين . ولكن حوارك لا بأس به

* « المولد » لمؤلف نسى أن يكتب اسمه :

● اسلوبك جميل رشيق ، لقد وصفت صورة صحيحة ساخرة المولد ، و « المطربة صاحبة اجمل غازتين » و «والراقصة ذات الجسد الكاوتشوك» و « زوجها الذى يتشاغل بمداعبة الطفل حتى لا يفقد آخر بقايا الكرامة وملامح الشرفاء » . ولكننا فى النهاية لم نخرج بقصته ذات احداث أو بناء درامى انها اقرب الى الصورة الادبيـة منها الى القصـة بمعناها المفهوم

صبحى الجيار

فى المقال .

● **رفقا بالقوارير :**

تحت هذا العنوان كتب الشاعر **عبد البـارى أبو العينين** المدرس بوزارة التربية مقالا ضافيا زعم فيه أن الرفق بالقوارير أصبح شعارا للمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، وأخذ عليه : اسرافه فى حسن ظنه بالشواعر والمتشاعرات ، ودأبه على تشجيع أدب الاناث حتى لو ظهرت الانثى بقصـيدة من الشـعر مستعارة ، ولا يعنيه بعد ذلك نقد الناقدين أو سخرية الساخرين .

ثم يقول الـكاتب : ان المجلس لو ناقش هـؤلاء الشواعر المتسلقات فيما ينشدن لظهر له الحق ، ولتأكد له وجود روح الرجولة ممثلة فيها بأجلى معانيها ويزعم : ان الشاعرة التى فازت بالجائزة الاولى لشعر الشباب فى المهرجان الخامس ، ألقت قصيدة من نظم والدها ، وقد تقدم بها الى المجلس ليقبله شاعرا من شعراء المهرجان ، ولما فشل أعارها ابنته حيث فازت بالقدح المحلى .

وختم الكاتب مقاله : بأن اهـاب بالمجلس ان يشجع الناحية الفنية الاصيلة فى الشعر أنى وجدت دون تحيز لفتى أو فتاة .

ونحن نرى أنه اذا ثبت ماقاله الكاتب لـكانت هناك قضية جديرة بالنظر ، فلا شك أن المجاملة أيا كان لونها فى مجال التقدير لاى انتاج أدبى ، تضيع بجانبها حقوق وتنحدر مقاييس ، ولا نملك الا أن نرجو أن يكون الكاتب قد بالغ بعض المبـالغة فى اتهـاماته ، والا فالمجلس الأعلى لرعاية الفنون أقدر منا على الدفاع عن نفسه .

***

● **حول الأدب الافريقى :**

كتب الاديب **محمد محمود الهو** بالهيئة العـامة لمشروع السنوات الخمس مقالا استعرض فيه المناقشة التى عقدتها رابطة الادب الحديث لـكتاب الاستاذ على شلش «من الادب الافريقى» ثم سجل الـكاتب فى مقـاله رأيه فى الـكتاب ، حيث رأى أن المؤلف أوجز الى درجة تضائل المادة العلمية فى بحثه ، كما أخذ عليه ابرازه لروح الافريقى ـ فى معاداته لتسلط الرجل الابيض عليه ـ بالعنف الذى يـدفع به الى الاحتكام الى السلاح واراقة الدماء ، مع أن الرجل الاسود مسالم صبور يكره العنف ، الا أن المستعمر يقيم دعايته على اعتباره شريرا يستمرىء الانتقـام ويتعطش الى الدماء .

ليت كاتب المقال سلط أضواء على مناقشة الكتاب فأبدى رأيه فيها بدل استعراض ماذكر فيهـا دون تعقيب ، أما ماأخذه على المؤلف من الايجاز فلا مبرر له ، وهو يعلم أن الكتاب صدر ضمن أعداد سلسلة (اقرأ) المحدودة الصفحات ، وأما دفاعـه عن عنف الرجل الافريقى ، فليس له مايبرره أيضا ، فموقف الرجل الافريقى موقف المدافع عن كيانه ووجـوده ضد مستعمر طاغية لاتردعه غير القوة ، والقوة وحدها أصبحت فى مجال الكفاح هى اللغة التى يفهمهـا المستعمر ويحنى لها رأسه .

***

● **مدرسة أبولو وصاحبها :**

وتحت هذا العنوان كتب **الاديب السودانى بشرى أمين** مقالا عرض فيه لمدرسة «أبولو» وصاحبهـا المرحوم الدكتور احمد زكى أبو شادى ، الذى كان كتلة من النشاط الواعى الخلاق ، فلم يعرف فتورا أو سكونا ، حيث كان عضوا عاملا فى عدة هيئـات ثقافية وصحية وزراعية واقتصادية واجتماعيـة ، وعندما اختار أبو شادى لمجلته الشعرية اسم «أبولو» وهو اله الشعر عند قدماء اليونان ، استثقله كثير من النقاد حتى طالبوه بتغييره ، ولم تخف حدة النقـد الا بعد قصيدة شوقى المشهورة التى رحب فيهـا بالمجلة والمسهمين فيها ترحيبا له دلالته :

أبو لو مرحبـا بك يا أبولو
فانك من عكاظ الشعر ظل

عكاظ وانت للبلغـاء سوق
على جنباتها رحـلوا وحـلوا

كنا نود الا يكتفى الاديب السودانى بسرد المعلومات السطحية عن مدرسة أبولو وصاحبهـا ، ويسلط أضواءه على قابلية هذه المدرسة للتجاوب مع المجالات الادبية ، وعلى الاثر الذى تركته ولا زال له فاعلية فى حياتنا الادبية ، ويظهر أن الاديب كان يعتـذر للقارىء وهو يبدى أسفه لانه ليس تحت يده من أعداد مجلة أبولو ما يساعده على تقييم مدرستها

في الشعر

● **الشعر السوداني في معركة بورسعيد :**

في مقـــال للاديب الســـوداني : خضر الطيب **الشافرابي** ، تحدث عن دور شعراء السودان في معركة بورسعيد ، وكيف استطاعوا بشعرهم أن يخلدوا بطولة شعب جعل من القناة مقبرة للغزاة ، وعرض الاديب نماذج مطولة من الشعر السوداني لعدد قليل من الشعراء ، فالشاعر احمد محمد علي قال :

حســـبوا القناة غنيمة صفت موائدها لفـــاجر
خسئوا فما أرض القناة سوى اللظى وسوى المقابر

والشاعر عبد الله عبد الرحمن الامين تغنى بأمجاد بورسعيد من خلال ديوانه «العروبة» وقد اختار له الكاتب طرفا من احدى قصائده :

واذا لم نكن من الجنـــد انا
مستعدون أن نمـــد الجنودا
هي في الحق ثورة من جمـــال
أنت للعرب ظلهـــا المنشودا

والحق ـ كما نرى ـ أن القصيدة مفككة مهزوزة معنى ولغة .

واستشهد الكاتب بقصيدة للفيتورى يخـــاطب التاريخ ويطالبه بأن يقف عند باب مدينته بورسعيد طويلا ليسجل مفاخر أبطالها .

ويختتم الكاتب مقاله بقصيدة الشاعر المرهف الاحساس : ادريس محمد حجاج :

نازلت يامصر من راموك واعتـــفوا
ونحن بين شديد السخط والعجب
كل العروبة نا مس اخوتهـــم
بأس المغير سعوا في نخوة العرب
عروبة وحـــدة الاحساس تجمعها
كما التقت في اتحاد الاصل والنسب

كنت أود أن يعرض الكاتب لعديد من شـــعراء السودان الذين أسهموا في المعركة ، بدل الاسراف في الاستشهاد ، حتى يقدم صورة واضحة المعالم لدور الشعر السوداني في معركة بورسعيد الخالدة .

● **عذراء تتحدى الطغيان :**

في ذكرى الميلاد وتحت هـذا العنوان ، كتب الشـــاعر محيي الدين البـزرن من صيدا بلبنـــان

اربع منظومات من الاولى :

اي عزم لدى البتول تحـــدى
فتنـــة البغي والضـــلال وأردى

اي امر أتتـــه في الحق يمضي
من سنا البدر في الحوالك أهدى

ومن الثانية :

اخت هرون والعقـــول حيـــارى
في الذي جئت جهـــرة ونهـــارا

اخت هـــرون واليهـــود بلاء
كيف أبعدت عن عفافك عـــارا

ومن الثالثة :

قهرت مـــريم البتول بصمت
فاق غر البيان صمتـــا وعـــذبا

يوم زاغوا فأرسعوها اتهـــاما
بئس ما افتروا وســـحقا وتبـــا

فأشارت اليه فانبرى عبقريا
فاسألوا الدهر كيف قال ولبى

ومن الاخيرة :

فاسمعوا الحق من رضيع صراحا
ليس افصاحه الفريد صيـــاحـــا
ان يصب خـــدك الظلوم بذل
فاحتمله ولا تزده اجتراحـــا

الحق أن شعر الشاعر جدير بهذه المنـــاسبة الكريمة لولا خلوه من اثارة قضية السلام التي ترتبط بالمناسبة ، ولولا استعمال بعض الالفاظ في غـــير موضعها ، فليس الصمت من مقومات البيـــان ، والتـــاريخ هو الأحق بالسؤال لا الدهر ، وليس احتمال الذل أسلوبا مجـــديا في حياتنا اليوم ، والاجتراح معناه الاكتساب ولا موضع له في البيت الاخير .

ابن المقفع

لقاء الحبيب

ترجمها عن الألمانية : لؤى طه الراوى

قال عامل المناجم الشاب ، لخطيبته الصغيرة الجميلة ، بعد ان طبع على شفتيها قبلة حانية :

— فى يوم « سانك لرجيا » سنذهب الى الكنيسة ونقف بين يدى القس ، ليعقد زواجنا ياحبيبتى ، وسوف نبنى بيتا صغيرا يكون عشا لسعادتنا ، وحبنا .

ورفعت الفتاة الجميلة وجهها البرىء وعلى شفتيها ابتسامة ملائكية ، وتطلعت بشغف الى عينى خطيبها الطافحتين بالحب وقالت :

— انك ياحبيبى كل دنياى ، ولن افارقك الا الى القبر .

كان ذلك فى مدينة فالون بالسويد ، وقبل خمسين عاما ..

وجاء عيد « سانك لوجيا » ووقف القس يسأل الحاضرين عن الخطيبين السعيدين ليعقد زواجهما . وسكت الحاضرون ، وكان الموت هو الذى اجاب على سؤال القس .

قبل يوم واحد ، وفى الصباح الباكر ، مر عامل المناجم الشاب ، بملابس المناجم السوداء ، ملابس الموت ، واقترب من شباك خطيبته ، وهو فى طريقه الى المنجم ، فرآها مكبة تضع اللمسات الاخيرة على الوشاح الاسود الذى طرزته بحاشية حمراء قانية ، ليضعه خطيبها على كتفه عندما يقفان غدا بين يدى القس ليعقد قرانهما .

ونقر الخطيب الشاب على نافذة خطيبته فرفعت راسها الصغير الجميل لتستمع بسعادة الى صوت خطيبها يقول

— صباح الخير

ثم لوح بيده باسما سعيدا وسار الى عمله .

واكملت الخطيبة الجميلة الوشاح الذى صنعته لزوجها ، ووضعته بجانبها ، وجلست امام النافذة تنتظر عودته لتتلقى منه تحية المساء ، ولتريه الوشاح .

ولكن الخطيب الشاب لم يعد من المنجم ابدا . فقد انهار المنجم ودفن العمال كلهم فيه .

وظلت الخطيبة المفجوعة ، تنشر الوشاح الذى صنعته لحبيبها ، وتجلس امام النافذة صباح كل يوم ، لعلها تسمع تحية الصباح من الحبيب الذى لن يعود ، حتى اذا فات موعد مروره ، حملت الوشاح وطوته بعناية ، وبعد ان تطبع عليه قبلة حانية ، تضعه بعناية فى دولابها .

ولم تكف الكرة الارضية عن الدوران ، وراح الزمان يسجل الاحداث بعد انهيار ذلك المنجم . فتحطمت مدينة ليزابون بالبرتغال عندما داهمها زلزال عنيف ، وانتهت حرب السنوات السبع ، ومات فرانس الأول ، وتقسمت بولندا ، وماتت الامبراطوره ماريا تيريزا ، وتحررت امريكا ، وعجز الاتحاد الفرنسى الاسبانى عن غزو جبل طارق ، ووضع الاتراك الجنرال شتاين فى كهف فيتوانر بهنغاريا واغلقوه عليه ، وتوفى القيصر جوزيف وغزا جوستاف ملك السويد فنلندا القيصرية واشتعلت الثورة الفرنسية والحروب الطويلة ، وذهب القيصر ليوبولد الثانى الى القبر ، وغزا نابليون بروسيا ، وضرب الانجليز كوبنهاجن بالقنابل ، وظل المزارعون يزرعون ويحصدون ، والطحان يطحن ، والحداد يضرب على الحديد .. وجماعات عمال المناجم يهبطون كل يوم الى باطن الارض يبحثون عن عروق المعادن ..

وفى صباح احد الايام ، بعد انهيار ذلك المنجم بخمسين سنة ، كان عمال المناجم فى مدينة فالون يحاولون ان يفتحوا ثغرة توصل بين منجمين ، على عمق ثلاثمائة ياردة ، عندما عثروا بين الصخور ، على جثة شاب قد غطتها مادة اوكسيد الحديد . كانت الجثة تبدو وكأنها تمثال من الحديد اصابه الصدا ، كانت الملامح كاملة ، ملامح شاب يبدو وكأنه مات منذ ساعة واحدة فقط ، بل كان يبدو وكأن سنة من النوم اخذته وهو يعمل .

واخرج العمال الجثة الى النور ، لم يكن هناك احد يعرفه ، لقد مات ابواه وكل اصدقائه ومعارفه منذ سنين .. لم يكن احد يعرف شيئا عن هذا الشاب المسجى ، او عن الحادثة التى اودت بحياته .

وبينما كان العمال وعدد من اهل فالون يقفون

حول الجثة يسألون انفسهم عن صاحبها ، جاءت سيدة احنت قامتها الشيخوخة فراحت تستعين على سيرها بعصا ، وجلل الشيب راسها المحنى الى الامام ، وتقدمت من الناس تستطلع سبب وقوفهم ، واندست بينهم حتى اشرفت الجثة التى كانوا يحيطون بها .

وبغتة راى الناس هذه السيدة العجوز تلقى بنفسها على الجثة المسجاة على الارض تحتضنها وتغمر الوجه الذى يغلفه صدا الحديد بقبلاتها ودموعها .

وانقطعت فجاة عن البكاء ، وراحت تمر بيدها على وجه الشاب المسجى وكانها تهدهد ، ومرت بخاطرها احزان خمسين سنة ، ثم راحت تحدث نفسها بين دهشة الناس واستغرابهم قائلة :

ــ هذا هو خطيبي .. حبيبي الذى ظللت انتظره خمسين عاما .. لقد اعاده لى الله لاراه قبل نهايتى .. قبل يوم واحد من الزواج ، ابتلعته الارض ، وحفظته لتعيده الى مرة اخرى .

وخيم الصمت المريب على الواقفين وترقرقت الدموع فى عيونهم وهم ينظرون الى هذا الشاب المسجى الذى اضاء المشعل الذى وضعه فى صدر هذه العجوز منذ خمسين عاما ، وها هو ينام بهدوء والشباب يتدفق من ملامحه الصامتة . ان هذا الفم المطبق بقوة ، لن يبتسم ثانية ، وهذه العين المطبقة لن تفتح مرة اخرى لترى الحبيبة ثانية .

وحمل العمال الجثة وساروا وراء السيدة العجوز الى بيتها ، وبيدها غسلت جثة خطيبها والبسته بدلة العرس ، وعندما جاء العمال لحمل جثمانه ، تقدمت السيدة العجوز وهى تحمل الوشاح الاسود الذى طرزت حشيته الحمراء القانية منذ خمسين عاما ، ونشرته على صدر حبيبها وخطيبها .. وسارت وراء جثمانه ، ومن ورائها سار سكان مدينة فالون كلهم .

وبعد ان اهيل التراب على قبره ، قالت السيدة العجوز تودعه :

ــ نم على بركة الله ، ولا تدع للملل سبيلا اليك .. ما تزال هناك حاجات لا بد لى من قضائها ، ولكننى ساعود اليك .. لنقضى هنا معا ، شهر العسل الذى حرمنا منه يا حبيبى ..

لؤى طه الراوى

من هنا وهناك ..

- انشىء بالاسكندرية نادى للقصة ـ يعقد ندواته بدار الثقافة ويدير هذه الندوات ـ فتحى الابيارى .
- رشحت لجنة النشر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب الاستاذين محمد فريد ابو حديد ـ وعزيز اباظة لنيل جائزة الدولة التقديرية فى عام ١٩٦٤ .
- يبحث الآن المجلس الأعلى للفنون والآداب موضوع انشاء مسابقة لخريجى الجامعات وطلبة الدراسات العليا فى الانتاج الادبى والثقافى ـ وذلك الى جانب المسابقة الحالية الخاصة بطلبة الجامعات ..
- تقرر منح التفرغ للاديبين الفريد فرج ويعقوب الشارونى ..
- الفنون الشعبية واستيحاؤها فى الادب والفن ـ موضوع المناقشة فى ندوة الاربعاء القادم ـ بنادى القصة يقدم الندوة ـ صالح جودت ويشترك فيها .. الدكتورة سهير القلماوى ـ واحمد رشدى صالح ـ واحمد عثمان ـ وزكريا الحجاوى ـ وعبد الحليم نويرة ـ والدكتور عبد الحميد يونس ـ وفوزى العنتيل ..

الدار القومية للطباعة والنشر